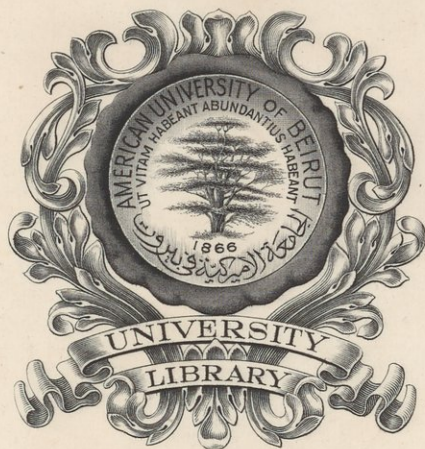


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



☆ نشرة ☆



الجمعية الخلدونية

١٩٣٠

المطبعة الاهلية نهج الديوان عدد ٥ تونس



معالي العلامة المرحوم سيدي العزيز بوعتور
الوزير الأكبر السابق

بعض رؤساء الخلدونية السابقين



الاستاذ حسن قلاتي



المفضل سيدي عمر البكروش



العالم المرحوم سيدي علي بن احمد



الهمام سيدي عبد الجليل الزاوش



الاستاذ الهادي الكسوري
مدرس الفلك بالخلدونية



الاستاذ العالم سيدي الصادق التلاتي مدرس الرياضيات بالخلدونية سابقا



١ - الاستاذ الاكبر سيدي الطاهر بن عامور ٢ - المرحوم سيدي محمد الاصوم ٣ - المرحوم
سيدي البشير صفر ٤ - المرحوم سيدي علي بوشوشه ٥ - سيدي رشيد بن مصطفى
٦ - سيدي عبد الحليل الزاوش ٧ - امير الامراء سيدي محمد ابن الخوجه ٨ - سيدي
العزیز الجیونی ٩ - المرحوم الاستاذ احمد الغطاس .

مجلس ادارة الخلدونية السابق



- ١ - الاستاذ الاكبر سيدي الطاهر بن عاشور ٢ - المرحوم سيدي محمد الاصرم ٣ - معالي
- المولى الوزير الاكبر سيدي خليل بو حاجب ٤ - المرحوم سيدي البشير صفر ٥ - سيدي
- رشيد بن مصطفى ٦ - معالي سيدي الهادي الاخوة وزير القلم والاستشارة ٧ - سيدي
- عبد الجليل الزاوش عامل سوسة ٧ - سيدي خير الله ابن مصطفى مدير الاوقاف السابق



الاستاذ الاكبر سيدي الطاهر بن عاشور
صاحب الايدي البيضاء على مشروع الخلدونية

الفاضل سيدي محمد النهدي



صاحب الايادي البيضاء على مشرع الخلدونية



الماجد الفاضل سيدي الهادي بن عمار حافظ المكتبة



الخبر المفضل سيدي الشاذلي بن شعبان
صاحب الايادي البيضاء على مشروع الخلدونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعترته الطاهرين

باسمك اللهم وتقدس اسمؤك نستفتح هذا العمل اليوم عالمين انه لعمل صعب
(واصعب الامور مباديها) ونستمنحك الاعانة والتوفيق وان تهىء لنا من امرنا رشدا

إليك ايها الشعب الكريم

نتقدم بهاته الصفحات اليوم وان لم تكن في الدرجة القصوى من الكمال
فعسى ان تكون من خير الصفحات التي اخرجت للناس في هذا العهد صفحات فكر
في ابرازها منذ ثلث قرن اسلافنا الكرام في ادارة هذا المعهد الكبير وحالات دون اتجاذه
عقبات وعراقيل وهاهي قد تذلت اليوم والمنة لله

اما الغرض من هاته النشرة فهو بيان اعمال الخلدونية في عامها هذا وما وقع فيها
من دروس ومحاضرات مع بيان مفصل عن سير الادارة والمكتبة والتعليم حتى يكون
العموم على علم مما وقع فيها

وكان في العزم نشر سائر المحاضرات التي وقعت في العام لكن ضاق نطاق هذا
السفر عنها فنشرنا منها القل وتركنا الجلل الى سفر خاص . وعسى ان نتوفق الى ابرازة
قريبا والله ولي التوفيق

التعريف بالخلدونية

في شهر جمادى الثانية من عام ١٣١٤ الموافق لذي سمبر عام ١٨٩٦ فكر نخبة من
اعيان الامة التونسية في تكوين جمعية علمية الغرض منها بث العلوم الرياضية والفلسفية
والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد باللسان العربي بين التونسيين كما تساعد على استكمال
معارف الشبيبة التونسية بفرنسا وقد حرروا لهذا الغرض قانونا عرضوه على الحكومة
التي صادقت عليه

وقد اقبل سراة الامة وكبرائها على الانخراط في سلك عضويتها وجعلها ملك البلاد

القدس المبرور سيدنا علي باشا باي تحت حمايته العالية وامدها بالمال الوفير وها نحن
ننشر على سبيل التذكار ما نشرته جريدة الحاضرة بتاريخ ١٣ شوال عام ١٣١٤ ونصه

« لا زال الناس يتساءلون عن مقاصد هذه الجمعية واعمالها حيث لم يتيسر لها افتتاح
دروسها بسبب ترميم محلها شان الامور التي لم تبرز للخارج بمجرد حدوثها فتذهب
الناس في احوالها كل مذهب حتى يتبين بالعين ما كان من اصله غيبا عن البرهان
واليك الفصل الثاني من قانون تأسيسها الذي نشرناه في عدد ٤٣٤ من صحيفتنا ونصه :
مقصد الجمعية البحث عن الوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعارف لدى المسلمين
ولذلك كان من عزمها خصوصا - اولا ان ترتب دروسا وخطبا او محادثات في عام
التاريخ والجغرافيا - واللسان الفرنسي والافقهصاد السياسي وعلم حفظ الصحة والطبيعة
والكيمياء وغير ذلك - ثانيا ان تسهل وسائل الاستكمال في المعارف على من هو اهل
لذلك - ثالثا ان تعين على انشاء مكاتب - رابعا ان تحدث جريدة تنشر بالعربية
والفرنسية والغرض الاصلي من هاته الجريدة ان تعين على تعريف التمدن العربي
للفرنسيين والتمدن الفرنسي للعرب اه .

فهذا كاف في التعريف بمقاصدها وانحصار اعمالها فيما يعود نفعه على الامة الاسلامية
التونسية وكفى شاهدا على ذلك تكريم الحجرة العالية دام عزها وعلاها الى انخ - اذ هذه
الجمعية تحت حمايتها واعانتها اعانة معتبرة

كما اسرع كثير من عظماء التونسيين لطلب الانخراط في سلك الجمعية المذكورة
التي تحت رعاية جناب المولى الوزير الاكبر وفي مقدمتهم جناب وزير القلم وحضرة
مولانا شيخ الاسلام الذي تفضل بالانخراط في سلك الجمعية بصفة عضو مؤسس حسبما
يؤخذ ذلك من نص مכתوبه الآتي .

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

جناب الرافل في حلل العلوم بالمنطوق والمفهوم الموقر المحترم الامير الاي السيد
محمد القروي رئيس الجمعية الخلدونية حرس الله كماله

وبعد فقد بلغ اعلامكم واحطنا خبرا بمقاصد جمعيةكم وحيث كانت من المقاصد

الصالحة وكان على كل ذي مروءة ان يعين عليها لما فيها من خير البلاد والعباد . فانه
يسرنني ان اكون من جملة المعينين عليها بصفة عضو مؤسس والله يمد الجميع بالاعانة
والسلام من الفقير الى ربه احمد كريم شيخ الاسلام كان الله له بحاضرة تونس وعملها
في رمضان سنة ١٣١٤ وفي مارس الافرنجي سنة ١٨٩٧ الامضاء صح احمد كريم
ومما تقدم يتضح ان مقصد هاته الجمعية جليل وانه لا ينفق في سوقها الا الابرز
الخالص واللجين المصفى فلا يلتفت لما يشيعه سماسة البغيبي والفساد من الاخبار البعيدة
عن الصحة العريقة في الوهم والغلط لاحداث العقبات في سبيل هذا المشروع الاسلامي
الذي هو بكل خير كفيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .»

تلك عناية رجال ذلك العصر بهذا المشروع الكبير ولما تم التصديق على قانونها
احتفل بافتتاحها احتفالا لم تعدها البلد من قبل ففي صبيحة يوم السبت ١٤ ذى الحجة
الموافق ١٥ مارس عام ١٣١٤ - ١٨٩٧ على الساعة العاشرة اجري موكب الاحتفال

بمحضر جناب المقيم العام م . ميلي والوزير الاكبر المرحوم العلامة سيدي العزيز
بوعتور و جناب م . رفوال كاهية المقيم العام وسيدي محمد الجلوي وزير القلم والاستشارة
يومئذ و جناب م . روى الكاتب العام وغيرهم من كبار رجال الدولتين كما تشرف هذا
الموكب بحضور صفوة الخيرة الابرار تقيب السادة الاشراف وكبير اهل الشورى من
المالكية المقدس سيدي احمد الشريف وكثير من السادة العلماء الاعلام وجم غفير من
الايان وقد افتتح الحفلة رئيس الخلدونية الاول الاستاذ سيدي محمد القروي بخطاب
بديع نشره في غير هذا المكان كما خطب فيها ايضا جناب الوزير المقيم والمولى الوزير
الاكبر ودامت الحفلة الى بعيد الزوال

ومن ذلك التاريخ والمدرسة الخلدونية مشاورة على منهجها سائرة الى الامام حتى
اصبح لديها اليوم من التسلايم ما يقرب من الستمائة واصبحت لها مكتبة من خير
مكاتب البلاد جامعة بين النادر والنفيس وسيطلع القراء على ذلك تفصيلا بهذا العدد

* ادارة الخلدونية *

يدير الجمعية الخلدونية مجلس ادارة يتركب من رئيس واحد عشر عضوا ينتخبون
في جلسة عامة بين عموم المشتركين بالاقتراع السري والاعلبية المطلقة في الدور الاول

والاغلبية النسبية في الدور الثاني لمدة عام واحد ويمكن تجديد انتخابهم (الفصل ١٢ من القانون الاساسي) وهم لعام ١٩٣٠ السادة

* الرئيس *

الاستاذ عبد الرحمان الكعك
المحامي بتونس

* الكاهيتان *

الاستاذ محمد الصالح بن مراد
السيد محمد شنيق
المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة
كاهية القسم الاهلي بالمجلس الكبير ورئيس
الحجرة التجارية ومدير بنك التعاضد

* امين المال *

السيد الهادي ابن الطاهر
وكيل المدرسة الصادقية

* الكتاتبان *

السيد الصادق الزمرلي
السيد علي كاهية
كاتب سر جناب وزير العدلية والاستاذ
بالمدرسة العليا للترجمة والآداب العربية

* الاعضاء السادة *

رشيد بن مصطفى
المحامي محمد بن عمار
الاستاذ حسن قلاتي
السيد محمد المقدم
مصطفى آغة
مهندس بتونس
رئيس نقابة الوكلاء
المحامي الكبير
رئيس شركة الاقبال التجارية
الشاعر الكبير
كاهية رئيس القسم الاول
مصطفى صفر

مدير المدرسة الخلدونية الاستاذ صالح بن محمود

* الاساتذة - قسم التعليم العالي *

تاريخ آداب اللغة العربية	الاستاذ العربي الكبادي
فلسفة التاريخ	الاستاذ عثمان الكعاك
الاقتصاد السياسي	المحامي الاستاذ الطاهر صفر
الطب وحفظ الصحة	الحكيم محمود الماطري
علم الهياة	الاستاذ الهادي الكسوري

* القسم الثانوي *

الرياضيات	الاستاذ محمد عبيد
التاريخ الطبيعي	الاستاذ المختار المملوك
الهندسة	الاستاذ عبد العزيز بن الامين
التاريخ	الاستاذ عثمان الكعاك
الجغرافيا	الاستاذ عثمان الكعاك
الادب العربي	الاستاذ بلحسن بن شعبان
مسك الدفاتر	الاستاذ الطيب الحداد
اللغة الفرنسية	الاستاذ الرضا كمون

* القسم الابتدائي *

مبادي العربية	الشيخ حسين المشيرقي
مبادي اللغة العربية	الشيخ سعيد ابن الخوجه
مبادي اللغة الفرنسية	السيد الشاذلي الفلاح
الانشاء العربي	الاستاذ بلحسن بن شعبان

* التعليم بالمدرسة الخلدونية *

التعليم بالمدرسة الخلدونية منقسم الى ثلاث درجات :

١ - تعليم عال

٢ - تعليم ثانوي

٣ - تعليم ابتدائي

التعليم العالي

فالتعليم العالي يقع في محاضرات ومسابرات يقوم بها خمس مرات في الاسبوع
نخبة من نوابغ اهل العلم والادب في الفنون الاليتية :

- تاريخ اداب اللغة العربية مرتين في الاسبوع (الاستاذ محمد العربي الكبادي)

- الاقتصاد السياسي مرة في الاسبوع (الاستاذ الطاهر صفري)

- حفظ الصحة مرة في الاسبوع (الحكيم محمود المطاري)

- مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام مرة في الاسبوع (الاستاذ عثمان الكعاك)

وبمان ان هذه الدروس حرة اي مفتوحة للكافة فلا يمكن حصر عدد الذين يحضرون
بها وغاية ما يقال ان قساعة المحاضرات تغص في كل درس بافواج المستمعين الذين
يتراوح عددهم كل مرة من ٢٠٠ الى ٣٠٠ او اكثر

التعليم الثانوي

التعليم الثانوي منقسم الى سنتين لكل واحدة منهما برنامج مخصص بها يشمل
خمسة الابواب التالية :

الباب الاول في التاريخ

الباب الثاني في الجغرافيا

الباب الثالث في التعليم الفني وتحتله خمسة فصول وهي :

١ - العلوم الرياضية

٢ - العلوم الطبيعية

٣ - علم الطبيعيات ومعرفة خلائق الحيوانات والنباتات

الباب الرابع في مبادئ اللغة الفرنسية

الباب الخامس في الانشاء العربي

برنامج التعليم بالسنة الاولى

العلوم الرياضية - العددية اللفظية والكتابية للاعداد الصحيحة والعشرية -
 العمليات الاربع واختباراتها على صنفى العدد معما - الكسور الاعتيادية - تكبير او
 تصغير كسر عددا من المرات بضرب البسط او قسمة المقام - اختزال كسر بتحويله الى
 اخصر عبارة - المقايسة بين كسرين بالتجنيس - تحويل الكسور الى مقام متحد - قواعد
 عمومية وحالات خصوصية عن الكسر الاعتيادي - عمليات على الكسور الاعتيادية -
 تحويلها الى كسور اعشارية - القاعدة الثلاثية البسيطة مع تطبيقاتها الاكثر استعمالا
 تمرينات وامثلة - الربح البسيط - الخطيطة (الاسقاط التجاري) - الرنت (دخل
 الديون الدولية) - التقسيم التناسبي - الخلط والمزج - الطريقة الميترية - مقاييس تقدير
 الكميات - الوحدات الثمانية الشهيرة - اجزاء ومضاعفات كل وحدة - قراءة وكتابة
 هذه الاعداد - المقاييس الموجودة حقيقة - وصفها واستعمالها المتعارف .

الهندسة - الهندسة العملية : تدريب على تعريف خواص الاشكال وتسميتها
 وخطوطها المعبرة - الخطوط المتعامدة والمائلة والمتوازية - الزوايا - المثلثات - الاشكال
 الرباعية - الدائرة ومحيطها وتعريف نصف القعر - القطر والوتر والمماس والقاطع -
 الزاوية المركزية والمحيطية - المضلعات المنتظمة وكثيرة الاضلاع - زوايا المضلع المنتظم
 رسم وتخطيط اشكالها - كيفية استعمال آلات الرسم - مقدار زوايا المثلث (من غير
 اثبات برهان) مبلغ الزوايا الداخلية والخارجية لمضلع منتظم - مسايح الاشكال
 الهندسية الدارجة - تمرينات وامثلة .

الطبيعيات - الجاذبية : الثقل - الماء في حالة السكون - ضغط الهواء الجوي -
 قاعدة ارشيميدس - الطلقات - السيفونات - الحرارة - امتداد الاجرام بمفعول الحرارة -

الترمومترا (مقاييس الهواء) .. تغيير حالة الاجرام .. الآلة البخارية .. رطوبة الهواء ..
الصوت ومتعلقاته .. الفونوغراف .

الكيمياء .. كيفية تركيب الآلات : الادروجين والاكسجين - الهـواء
والآزوت - الحامض الفحمي .. الاجرام البسيطة والمركبة .. المزج والاتحاد .. قوانين
الاتحاد - بيانات على الاكسيد والحوامض والقواعد والاملاح - الكبريت والحامض
كبريت هيدريك - هاندريد كاربوريتور - الحامض الكبريتي - الكلور والحامض كلور
هيدريك - المفقدة للالوان - النشادر واملاحه - الحامض الازوتيكي - الفسفور والحامض
الفسفوريكي - الفسفاط - السيليس واشهر السيليكات - الكربون وانواعه - بيانات
مختصرة على المعادن وملحوظاتها - البوطاسة والسودة - ملح الطعام - املاح الكلس -
الامينيوم - الطين - صناعة المعادن - الحديد - النحاس - الرصاص - الخارصي - الفضة -
الذهب .

النباتات - مقدمة فيما يخص النباتات : الجذر - الساق - الورق - تركيبها
الداخلي ونورها - تغذي النباتات من الارض - الامتصاص - دوران الغذاء في الاوعية
تنفس النباتات - امتصاص الكربون - الوظيفة الكلوروفيلية - تغذي النباتات التي
ليست لها كلوروفيلية - تكوين المواد المدخرة واستعمالها عند الحاجة - الزهور - نمو
البذرة والفاكهة - انواع التلقيح - تقسيم النباتات - الميولوجية : بعض عموميات على اهم
الحوادث الميولوجية في عصرنا الحاضر - البراكين - عموميات على اهم الحركات
الموجودة - تاثير الهواء والماء على الارض - ترشح الماء - تكوين العيون والودية -
بعض عموميات على تقسيم الاراضي .

التاريخ - التاريخ القديم : مقدمة - ما قبل التاريخ - مصر والمصريون
الاقدمون - الكلدانيون والاشوريون - العبريون - الفنيقيون - الفرس - اليونان - الرومان
تاريخ فرنسا - غالبا وسكانها : الاستيلاء الروماني - ظهور المسيحية فيها - الافرنج
الملوك الكسالي - غزو العرب لفرنسا - الاسرة الكارولنجية - شارلمان - النورمنديون -
الاسرة الكايسينية - الاقطاعات - قوة الكنيسة - الحروب الصليبية - لويس التاسع -

حرب مائة عام - جان دارك - اجلاء الانكليز - لويس الحادي عشر - فرنسا المملوكية -
 الاكتشافات البحرية - المطبعة - فرنسوى الاول وشارل كان - هنري الرابع -
 الكريدينال دي ريشليو - لويس الرابع عشر - مزارين - كبار الكتاب - لويس الخامس
 عشر - لويس السادس عشر - الثورة الكبرى والامبراطورية - سنة ١٧٨٩ - المجلس التاسيسي
 المجلس التشريعي - الجمهورية - بوناپارت - حملة مصر - القنصلات - الامبراطورية -
 حرب روسيا - سقوط الامبراطورية - فرنسا العصرية : لويس الثامن عشر - شارل
 العاشر - لوي فيليب - حروب الجزائر - الجمهورية الثانية - الامبراطورية الثانية -
 الحرب مع روسيا - الجمهورية الثالثة - الاصلاحات المنجزة - السياسة الاستعمارية .

الجغرافيا - مبادي علم الهيئة : النجوم والشمس - الكواكب السيارة - النجوم
 ذات الذنب - الارض واتساعها وحرركاتها - الليل والنهار - الفصول الاربعة - محور
 الارض - القطبان - الجهات الاصلية - خط الاستواء - خطوط الزوال - تمديد موقع
 مكان بالكرة الارضية - العرض والطول - المناطق - دائرتا الانقلاب - الدائرة القطبية -
 القمر ودورته وكسوفه - الخرائط المسطحة ومقياسها - بيانات على طبيعة الارض
 وطبقاتها - البراكين - الزلازل - الانهار - الصخور وانواعها - البحار والاراضي - المقايسة
 بين مساحاتها - الاقاليم واقسامها - مساحة القارات - المحيطات - الاصطلاحات
 الجغرافية بالنسبة للاراضي والمياه - مختصر جغرافية القارات الخمس الطبيعية - الجو -
 الرياح - الامطار - الثلوج - اهم التيارات البحرية - القارات ومواقعها - السواحل
 والجبال - اهم جبال الكرة - الهواء - المياه الجارية - نظام المياه - نتائج الكرة الارضية
 النتائج المعدنية والنباتية - منطقة النبات - الحيوان - الاجناس البشرية - الجهات المسكونة
 كشافة السكان - العالم القديم - العالم الجديد - استراليا - افريقيا ومواقعها وخواصها
 وجزائرها - وسطها - جهة الاطلس - الصحراء والسودان - بلاد الحبشة - افريقيا
 الجنوبية - الجو والمياه والانهار المعتبرة - سكان افريقيا - شعوب افريقيا الشمالية -
 الزنوج - المستعمرون الاروبيون - قبل سنة ١٨٥٠ وبعدها - مستقبل الاروبيين
 الاستعماري بافريقيا - الاقسام السياسية - مصر وحدودها وحكومتها وجغرافيتها

الاقتصادية وهياكلها ومدنها الكبرى .. بلاد الحبشة .. الصحراء الكبرى - السيقال
والسودان .. الكونغو ومناخه وحالته الاقتصادية .. افريقيا الجنوبية والغربية .. الاروبيون
في افريقيا الغربية والشرقية .. الجغرافيا الاقتصادية .. ايطاليا وخصائصها العمومية .. الارخبيل
الماليزي .. ميلانيزيا - ميكرونيزيا - بولينيزيا - نظرة عامة في اميركا .. اميركا الشمالية -
الولايات المتحدة .. اميركا الوسطى .. ارخبيل انثيليا .. اميركا الجنوبية .. تاريخها
واقسامها السياسية .. القطب الجنوبي بي .. نظرة عامة في آسيا .. سطحها وجوها وجوهرات
المياه .. اجناس سكانها .. الاروبيون بها .. اقسامها السياسية .. آسيا الروسية .. آسيا
التركية .. السلطنة الهندية .. السلطنة الصينية .. اليابان .. مواصلات الصين واليابان
مع اروبا واميركا الشمالية .

اللغة الفرنسية - معلومات في القراءة والكتابة : ميسادي النحو - املاء - مفردات
لغوية - محاورات بسيطة

الانشاء العربي - تعريفات لغوية : تحويل حكايات من الحديث عن المذكر
للمؤنث او العكس وغير ذلك - املاء وتفسير وحفظ منتخبات من الشعر والنثر - التدريب
على انشاء الرسائل - التحرير في مواضيع بسيطة

برناميج التعليم بالسنة الثانية

العلوم الرياضية - مراجعة دروس السنة الاولى : تكملة العمليات الاربع -
خواص قابلية قسمة الاعداد على ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٩ - ١١ .. الاعداد الاولى (الاصمة) -
معرفة الاعداد الاولى .. بيان جدولها .. تحليل عدد الى عوامله الاولى .. القاسم المشترك
الاعظم - المضاعف البسيط - تقسيمهما بطريقة الاعداد الاولى .. تكملة على الكسور
الاعتيادية - تطبيق المضاعف البسيط على تحويل مقامات الكسور الاعتيادية الى اصغر
مقام متحد .. تحويل كسر اعتيادي الى اعشاري .. الجذر التربيعي - الاربعة الحدود
المتناسبة واهم خواصها - القاعدة الثلاثية .. الفائض البسيط - الخطيطة (الاسقاط التجاري)
الرنث .. الاسهم والرقاع .. والتضمين (سيقورطه) - التقسيم التناسبي - قاعدة الشراكة -
الخلط والزج .. تمرينات وامثلة .

الهندسة - مراجعة دروس السنة الاولى : ملحقات مختصرة على المثلث ومتوازي الاضلاع والدائرة ومحيطها .. الخطوط المتناسبة .. تشابه المثلثات .. قياس مساحة السطح طول محيط الدائرة .. مساحة الدائرة .. تعريف الاجسام المضلعة والبسيطة .. المكعب . الموسور .. متوازي السطوح .. الهرم .. سطحها وحجمها .. الاسطوانة .. المخروط .. الكرة وخواصها الاصلية .. سطحها وحجمها .. تمرينات وامثلة .. تمرينات على رسم الاجسام المتقدمة .. مبادي قياس الاراضي ورسم الامثلة بحيث تحصل للتلامذة معلومات مختصرة ولكنها كافية لتمكينهم من استخدام الالات المعتادة وتقدير سطحه ورسمه على الورق

الجبر - تعريفه : بيان العلامات (الاشارات) الاصطلاحية - الحساب الجبري المحض .. تطبيق قواعد العمليات الحسابية على الاعداد والكسور الجبرية مع الاسهاب بنوع خاص في بيان قواعد الاشارات المتساوية والمعادلة .. معادلة الدرجة الاولى ذات المجهول الواحد او اكثر .. معادلة الدرجة الثانية ذات المجهول الواحد .. المتواليات العددية والهندسية .. اللوغاريتمات (الانساب) الربح المركب والوضع السنوي .. تمرينات وامثلة .

الطبيعات - النور وتشعع الحرارة .. الانعكاس - بحث ابتدائي في المراآة المسطحة والكروية - الانكسار - الموسور والعدسات - الانعكاس الكلي - تحليل النور وتركيبه النظر - استعمال العدسات - الكهرباء والمغناطيس - الاجرام المغنطية - البوصلة - التكهرب بالفرك وبالتاثير - الصاعقة وآلة التوقي منها - التيار الكهربي - الرصيصات ومفعولها الكيمياوي والطبيعي - تطبيقاتها - النور الكهربي والتحليل - الممغنط بالتيار الكهربي - مبادي التغراف - الجرس الكهربي - مبادي التاثير الكهربي - التليفون

الكيمياء - بحث مجمل في المواد العضوية وتركيبها - كربورات الادرجين - الاسيتامين - غاز الاستصباح - قطران الفحم الحجري .. البنزينه .. الكحول .. النخيمير والمخمرات .. الاثير - الحامض خليك .. تقطير الخشب .. الغليسيرينة .. صناعة الدسوم .. الشمع والصابون - سكر الشعير - السكر الاعتيادي .. الدقيق والنشا .. السلبلوز .. الكاغذ المواد الآلية (البيض والحليب واللحم والخبز) - المواد الملونة

التاريخ الطبيعى .. الانسان .. اعضاءه .. وظائفها .. الجسم .. الهضمي .. الهضم .. الاطعمة .. الجهاز التنفسي .. كمية ونوع الهواء اللازم للتنفس .. الاختناق .. التسمم بالغازات .. جريان الدم والجهاز المختص به .. الدم وما يتعلق به .. الدم واهميته .. وظيفة الكبد .. الحرارة الحيوانية .. الملابس .. ترشح الاخلاط .. الكلى والبول .. العرق .. الاندباء واللبن .. الحواس .. الجهاز العصبي .. اعضاء الحركة .. اهمية الحركات العضلية من الوجهة الصحية .. الرياضة وفوائدها .. الحيوانات .. وما يتعلق بها

التاريخ .. التاريخ الاسلامي : مقدمة .. جزييرة العرب .. سكانها .. العرب البائدة (حمير ومضروطسم وغيرها) .. الكعبة المشرفة .. تجارة قريش .. ظهور الاسلام .. الغزوات الاولى .. اليونان والفرس عند ظهور الاسلام .. انتشار الاسلام .. الخلفاء .. الحبش .. الفتوحات .. صبغة الحكومة العربية .. الامويون .. معاوية .. يزيد .. عبد الملك بن مروان .. العلويون .. العباسيون .. المنصور .. هارون الرشيد .. المامون .. بغداد .. النفوذ الفارسي .. الحضارة الاسلامية في القرنين الثاني والثالث من الهجرة .. ترجمة الكتب .. الكتاب .. انقسام الخلافة الى شرقية وغربية .. الامويون بالاندلس والفاطميون بمصر .. الاقطاعات الاسلامية بالشرق وافريقيا واسبانيا .. الحروب الصليبية .. صلاح الدين الايوبي .. علائق الشرق مع الغرب .. الدولة العثمانية وفتوحاتها بآسيا واروبا وافريقيا .. ارطغرل .. مراد .. محمد الثاني .. سليم الثاني .. محمود .. حرب القريم .. المسألة الشرقية ووجوهها ..

تاريخ المملكة التونسية وافريقيا الشمالية : تعريف البلاد واقسامها الطبيعية ومناخها وسكانها .. اقسام تاريخ المملكة : (١) الدور القرطاجني : مراكز التجارة .. الهيئة الاجتماعية .. الجيش .. الحروب البونيقية .. حنبعل .. حنون .. اشتر بعل .. تخریب قرطاجنة .. (٢) الدور الرومان : قرطاجنة الرومانية .. ظهور المسيحية .. الاستعمار الروماني البربر .. الفندال .. البيزنطيون .. الحكومة البيزنطية .. الهماكل والاثار الرومانية بافريقيا (٣) الدور الاسلامي : الفتح العربي .. عقبة بن نافع .. القيروان وغيرها من المراكز العربية .. موسى بن نصير .. فتح اسبانيا .. طارق بن زياد .. الولاة الامويون .. انتشار

الاسلام - الخوارج - الاغالبية - استقلال افريقيا الداخلي - معالمها - العبيديون - المهدي
 المعز - فتح مصر - صنهاجة - الحضارة الاسلامية بافريقيا - المعز بن باديس - تميم - هجوم
 الهلاليين على افريقيا - تخريب القيروان - هجوم النورمانديين - الموحدون - عبد المؤمن
 الحفصيون - المنتصر - نزول سان لوي بقرطاجنة - ابوفارس عزوز - سقوط الدولة
 الحفصية - الاستيلاء الاسباني - خير الدين بابا عروج - سقوط السلطنة الاسبانية - سنان
 باشا - حكومات الدايات - عثمان باي - يوسف داي - الدولة المرادية - حروب المملكة
 التونسية مع الجزائر - الدولة الحسينية - حسين بن علي - حمودة باشا - الوزير يوسف
 صاحب الطابع - عثمان باي - حسين باي - احمد باي - الجيش التونسي - حرب القريم
 الصادق باي - عهد الامان - مصطفى خزندار - خير الدين - اللجنة المالية - مصطفى بن
 اسماعيل - التدخل الفرنسي - الحماية

الجغرافيا - اكتشاف الارض - الفن الجغرافي - العصور القديمة - الرومان
 واليونان - العصور الوسطى - العصور الجديدة - طريق الهند البحرية - اكتشاف اميركا
 الاسبان - كريستوف كولمب - اميركا الشمالية - البحث عن طريق جديدة للهند -
 الاكتشافات القطبية - الرحلات العلمية - الرحلات الاستكشافية في البحار الجنوبية
 والمحيط الاعظم - الاستكشافات في اميركا وآسيا واقيانيا من سنة ١٧٩٥ الى الوقت
 الحاضر - اكتشاف الجهات القطبية - القطبان الشمالي والجنوبي

اللغة الفرنسية - معلومات في القراءة والكتابة - مبادئ النحو - املاء مفردات
 لغوية وجمل - محاورات

الانشاء العربي - املاء وشرح وحفظ منتخبات من النظم والشعر - ايجساد
 مفردات لاتمام المعنى - انشاء الرسائل في اغراض عائلية وادارية وغير ذلك - انشاء
 مقالات في مواضيع وصفية وقصصية وفكرية .

التعليم الابتدائي

التعليم الابتدائي منقسم الى اربعة اقسام ثلاثة منها للغة العربية والرابع للغة الفرنسية وهي :

قسم تحسين المعلومات العربية

القسم الاول من دروس الاميين

القسم الثاني من الدروس المذكورة

القسم الابتدائي من الدروس الفرنسية

وهذا برنامج الدروس التي تزاوّل بها

قسم تحسين المعلومات العربية : قراءة مفسرة - نحو وصرف

القسم الاول من دروس الاميين : قراءة مفسرة - مبادي النحو والصرف - املاء - حساب

القسم الثاني من الدروس المذكورة : مبادي القراءة والكتابة

القسم الابتدائي من الدروس الفرنسية : مبادي القراءة والكتابة ومعلومات

بسيطة على الاعداد والعمليات الاربع

مسك الدفاتر

احدثت الجمعية هذا الدرس افادة لعموم التجار الذين هم في اوكند الحاجة اليه وجعلته ليليا ليتمكنهم الحضور وتعطى للفائزين شهادات لها قيمة شهادة « مسك دفاتر » وقد اثمرت هذه الدروس وكان الاقبال عليها عظيما .



* مصير الانداسيين *

بقلم الاستاذ الاكبر سيدي محمد الطاهر بن عاشور

كبير اهل الفتيا من السادة المالكية

لا تجد مسلما خلوا من الحسرة على ما لحق مسلمي بلاد الاندلس من زوال ملكهم وانقراض كلمة الاسلام من تلك المملكة التي فتحها المسلمون وازدهت بهم عصورا طويلة كانوا في خلالها مثال النهوض والكمال في الدين والعلم والحضارة والادب ذلك ان المسلمين وان رماهم الدهر بالارزاء في مواقع ومواضع شان كل امة وتلك الايام ندولها بين الناس بيد ان الرزية التي منيت بها البلاد الاندلسية لا رزية مثلها في تاريخ الاسلام ولا شك ان كثيرا ممن تجيش صدورهم بذكر هذه الكارثة الكبرى يسائل نفسه عن مصير اولئك البواسل الابطال وكيف طواهم الدهر طيا ومزقهم ايادي سبا ولعل اكثر من يهيجس هذا الخاطر بباله لا يجهد في معلوماته جواب سؤاله لذلك احببت ان اذكر لمحة من تاريخ مصير اولئك الاخوان او الاسلاف لاسيما الذين وفدوا على تونس فزادوا نضارتها وافادوا حضارتها

وما مهد لذلك المصير

لم يطمئن العرب ببلاد الاندلس منذ فتحها موسى بن نصير الى ان خرجوا منها خروجهم الاخير ذلك بانهم كانوا جوار اعداء اولي بأس شديد وغيرة على وطنهم المسلوب يفكرون الدهر في استنقاذ من يد فاتحيه ويتربصون لهم الدوائر ويتحينون الفرص لذلك

ولولا ما كان من اتحاد العرب من زمن الفتح الى ظهور دول الطوائف لما استقام للمسلمين هنالك امر ولا طال بهم مقام طول القرون التي قضوها هنالك ولقد كان المسلمون قبل مجيء عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الاموي الملقب بالداخل يسددون امرهم تجاة اعدائهم بالقوة مرة وبالمصانة اخرى وحدثت فوضى قصيرة عند انتقال ملك الاندلس الى عبد الرحمان الداخل غير انه بسداد رائه اخذ يجمع ما افترق ويرتق ما انفتق

دامت الحرب سجالا بين المسلمين والجلالة (الاسبانيول) في تخوم البلاد
 الاندلسية ولكن دام بايدي المسلمين ما ملكوه يذودون عنه الاعداء ويسترجعون ما
 ينتزع من اطرافه في امد قريب لما كان لهم من اليقظة والشجاعة وتوفر العدد والعدد
 الى ان انقسمت الدولة الى دول وطوائف فبنو ذي النون بطايطلة وبنو جهور
 بقرطبة وبنو الانطس ببطايوس وبنو عباد باشبيلية وبنو هود بسرقسطة وبنو حسون
 بغرناطة والبصرة الى غير هؤلاء من ماوك صغار استقلوا بجهات ضعيفة كمدانية ومرسية
 وميورقة وبلنسية . فذب التنافس بين ماوك هذه الدول ديب العملة في الجسد وفكر
 اهل الراي من العلماء في جمع الكلمة فانتدب لذلك الفقيه الجليل الامام ابن الوليد سليمان
 بن خلف الباجي وتردد ما بين سرقسطة وبلنسية ومرسية ودانية ساعيا لسدى ولاتهم
 في جمع كلمتهم قال عياض في ترجمته فكانوا يكرمونه اجمالا له في الظاهر ويستثقلون
 سعيه في الباطن الى ان ادركته المنية وهو ببلد المرية في هذا السعي الشريف رحمه الله
 وقد رام ماوك الاندلس جبر هذا الصدع فانتدبوا لنصرتهم ماوك اللاتونيين الا ان عواقب
 دخول اللاتونيين زاد الامر ارتباكا وقد وجد ماوك الجلالة ذلك الاضطراب فرصة
 للهجوم على البلاد الاندلسية فانزعو طايطة سنة ٤٩١ وسرقسطة سنة ٥١٣ ثم فتر
 نشاط الجلالة مدة بسبب نشاط ثوار الاندلس على اسقاط سلطة اللاتونيين حين راوا
 منهم ضعفا لخروج الموحدين عليهم بالمغرب فثار بكل صقع من اصقاع الاندلس ثاير
 على بني غانمة امراء اللاتونيين واختلط نفوذهم ببقايا نفوذ اخلاف اللاتونيين ثم سقطت
 الدولة للامتونييه وخلص الامر اخيرا للموحدين بالمغرب وجزاوا الى الاندلس وجعلوا
 اقاربهم من بني عبد المومن بن علي امراء على جهات الاندلس وانتظم امرهم بها مدة
 اربعين سنة ثم اختلت امورهم وراموا الاستعانة بماوك الجلالة وتنازلوا لهم عن بعض
 الثغور ومنها ثغر جيان فاجتذعت كلمة زعماء الاندلس على اخراجهم من وطنهم وتولى
 كبير ذلك محمد بن هود ومن معه من قواد الاندلس يومئذ والشيخ محمد بن يوسف
 ابن نصر المعروف بابن الاحمر سنة ٦٢٥ مؤسس الدولة النصرية بغرناطة التي مال امرها
 بعد قليل الى ان صارت الدولة الاسلامية الوحيدة بالاندلس وسقطت عقب ذلك ماردة
 بيد الجلالة سنة ٦٢٦ ثم ميورقة سنة ٦٢٧

ولا يحسن بالمشيخ غيرة على الاسلام ان يمر هنا ولا يتلحف على ما ضحاه هذان
 الزعيمان من بلاد الاسلام طمعا بكل منهما في ان يحصل على خضد شوكة صاحبه
 ولطالما كان ابن الاحمر هذا بجنب ملك الجلالقة بحارب ابن هود وافتك منه الحصون
 لتسليمها فسقطت قرطبة سنة ٦٣٣ وبالنسيه سنة ٦٣٦ ومدينة القنت سنة ٦٤٤ وشاطبة
 سنة ٦٤٥ ومرسية سنة ٦٦٨

ولم يبق بيد المسلمين من بلاد الاندلس الا قطعة على البحر ما بين رندة والبيرة من
 الغرب الى الشرق وما بين البحر الايض الى غرناطة من الجنوب الى الشمال واستفاد
 المسلمون من غفلتهم حين كسر لهم الجلالقة عن انيابهم بعد ان اغتروا بموالانهم زمانا
 ليس بالقصير قال صاحب ازهار الرياض نقلا عن كتاب الوزير ابن عاصم الذي سماه
 جنة الرضى « ان العدو لم يدرك ثارا في المسلمين الا بعد تمكنه لاسباب الخلاف
 والفرقة بين المسلمين وهو يظهر انه ساع للوطن في العاقبة الحسنى وانه منطولا لهله على
 الاهتمام بامورهم وهو يسر حسوا في ارتقاء فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال »

وانزوى مسلمو الاندلس كلهم في تلك الرقعة الا من هاجر من قبل وتأسست
 هنالك مملكة قوية عاهلة غنية في حدود الربع الثاني من القرن السابع بهمة ملك
 غرناطة محمد بن يوسف بن نصر الذي كفر عن سابقه مع الاعداء بما بذله من النصيح في
 جمع الكلمة بعد انتظام امره وعقد صلحا مع ملك الجلالقة طويل المدة فاستقر الامن
 بالمملكة الاسلامية الاندلسية الباقية ودامت مائتي سنة ثم انبرى العدو لمنسا وشتهما من
 اطرافها واخذها تباعا فجبيل الفتح سنة ٨٦٦ ومالقة سنة ٨٩٢ ثم حدثت حروب بين
 الاسبان والافرنج فاعتنمها صاحب غرناطة ابو عبد الله وفتح بلادا كثيرة ولما اصطلاح
 الاسبان والافرنج ككر الاسبان على برج غرناطة في جمادي الاخرة سنة ٨٩٦ وحاصر
 غرناطة ودام القتال سبعة اشهر واستولى على الحمة قرب غرناطة في محرم سنة ٨٩٧
 واشتد الحصار فاجتمع اهل المشورة وتكلموا في شأن مصيرهم واتفقوا على ارتكاب اخف
 الضررين وهو تسليم البلد على شروط فاعقد في الحمة صلح بين ملك غرناطة وهو يومئذ
 السلطان محمد ابو عبد الله بن علي النصري يشتمل على خمسة وخمسين شرطا وقيل سبعة

وستين شرطا حسبما اشير الى عددها في القصيدة التي استنجد بها اهل غرناطة السلطان ابا يزيد العثماني في آخر مدتهم اذ قيل فيها مشارا الى هذا الصلح الى غير ذاك من شروط كثيرة تزيد على الخمسين شرطا بخمسة ومن تلك الشروط تامين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال . واقامة الشريعة الاسلامية على ما هي عليه . وان لا يحكم على احد الا بشريعته . وان تبقى المساجد . وتبقى الاوقاف وان لا يدخل النصارى دور المسلمين . وان لا يولى على المسلمين صراني ولا يهودي . وان لا يقهر من اسلم على الرجوع الى النصرانية . وان لا يزيدوا على المغارم المعتادة . وان لا يدخل النصارى مساجد المسلمين . وان لا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم من امر دينه . وان من شاء البقاء بالبلاد التي فتحها ملك الجلالة اقام مكرما ومن اراد الخروج الى بر العدو انزل باي بلد شاء منها من غير ان يعطي كراء ولا مغرما وكان آخر هذه الشروط ان يوافق على جميع الشروط صاحب رومة ويضع خط يده على عادتهم فهذا حاصل صلح الحمة وقد ظفرت بنحو ثلاثة وثلاثين شرطا من شروطه ولم اظفر بياقيها وبقتضاة دخل الاسبان غرناطة في ربيع الاول سنة ٨٩٧ واحتلوا قصبتهما الحمراء واخذوا خمسمائة من اعيان البلد رهائن عندهم

الانجلاء

ابتدا الانجلاء بكراهية بعض الناس المقام بعد ذهاب المملكة فارتحلت عائلات ليلة الى جهات من المغرب الاقصى وتلمسان وتونس والمشرق وكان الاسبان يظهر العناية بالمسلمين والاحترام لهم ووضع عنهم المغارم التي كانت عليهم في ايام ملوكهم ورغبهم في البقاء ببلادهم وثبطهم عن الخروج حتى كان النصارى ايا منذ من رعيته يحسدون المسلمين ويقولون لهم انتم عند ملكنا اعز واکرم منا واعتز بذلك معظم المسلمين وخارج كثير منهم الى العدة واشترى المقيمون بغرناطة رباعا عظيمة ممن ارادوا الخروج بارخص الاثمان

وكان ملك الاسبان وهو يومئذ ملك قشتالة وارغون امر بانتقال السلطان ابي عبد الله محمد بن علي من غرناطة الى قرية اندرش من قرى البشرات من حوز غرناطة فارتحل باهله وعياله وحشمه ثم ظهر للملك ان يخرجهم الى العدة فامرة بذلك واطهر

ان ذلك برغبة من السلطان واعد له المراكب العظيمة وكتب ملك قشتالة الى نائبه بالمرية كتابا قال فيه « انه لا سبيل لاحد ان يمنع مولاي ابا عبد الله من السفر حيث اراد من بر العدو ومن وقف على كتابي هذا فليقف معه » وركب معه كثير من المسلمين ممن راموا الخروج فخرجوا ونزلوا بمليلة من ريف المغرب - ومن غريب اتفاق التاريخ ان عبد الرحمان الداخلى اول ملوك الاندلس نزل بمليلة حين قدومه من المشرق ومنها اجتاز الى الاندلس فكان آخر ملوك الاندلس قد اعيد الى حيث ظهر اول ملوكها ولله عاقبة الامور - ورام السلطان ان يستوطن مدينة فاس وكان سلطان فاس يومئذ الشيخ الوطاسي قد سخط على سلطان الاندلس واتهمه بالتسبب في دخول النصارى الى غرناطة بسبب المصالحة التي وقعت منه معهم وكانه لم يسمح له بالقدوم الى فاس في اول الامر فلذلك اضطر سلطان غرناطة ان يكتب له كتابا مسهبا نظاما ونشرا سماه بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى سلطان فاس فهو من انشاء كتابه محمد بن عبد الله العقيلي المعروف بالعربي وقد ذكره صاحب ازهار الرياض بنصه في تسع ورقات فحصل له به الرضا من سلطان فاس واذن له في القدوم فقدم باهله وولده وبنى بفاس قصورا على طريقة بنيان الاندلس قل المقرى رايتها ودخلتها وتوفى السلطان عام ٩٤٠ قال المقرى وخلف ولدين يوسف واحمد وعقبه بفاس في عام ١٠٣٧ ياخذون من اوقاف الفقراء فسبحان من لا يزول ملكه

وعند حلول السلطان ابي عبد الله بفاس مع من لحق به من الاندلسيين كان قد حدث بفاس وباء وجوع وغلاء فرجع بعض المهاجرين الى بلادهم واخبروا قومهم بتلك الشدة فتعاس من اراد الجواز وعزموا على الإقامة . ولما اطمأن بهم المقام وراى الاسبان ان الناس قد عزموا على الإقامة اخذوا في نقض الشروط المصطلح عليها وذلك في زمن شارل الاول فلم يزلوا ينقضونها فصلا فصلا الى ان نقض جميعها ففرضوا عليهم المغارم الثقيلة ثم قطعوا عنهم الاذان في الصوامع ثم امرهم بالخروج من مدينة غرناطة الى الارباض والقرى فخرجوا واقفلت المساجد وضبطت الكتب والمصاحف وادركهم الذل والهوان واستطال عليهم الاسبان .

ثم دعواهم الى التدين بالنصرانية في عام ٩٠٤ وابتدوا ذلك باكراد كل من كان اصله

نصرانيا واسلم على ان يرجع الى النصرانية فارجموا من كانوا حديثي عهد بالاسلام ثم صاروا يدعون على اناس بان اجدادهم كانوا نصارى ويكرهونهم بسبب ذلك على التنصر فتنصر كثير منهم . ورام كثير منهم الخروج من المملكة . وثار لاجل ذلك اهل ربض البيازين من غرناطة وقتلوا ولاية البلد من الاسبان فصدر حكم الملك بقتل الثائرين الا ان يتنصر احد منهم فينجو من الموت فتنصر معظم المسلمين من اهل الحضر والبادية وامتنعت قرى من التنصر منها قرية بلفيق واندرش وجبل بلنقة فجمع لهم الاسبان جيوشا واستاصلوهم عدا اهل جبل بلنقة فانهم قتلوا من اعدائهم مقتلة عظيمة مات فيها حاكم قرطبة ثم اصطاحوا فاخرجهم الاسبان الى فاس كما سنذكر

ثم اجلى الاسبان المسلمين الذين تنصروا الى جهة البيرة سنة ٩٠٤ ودعواهم باسم موريسكو (١) وكان الذين اظهروا التنصر يقيمون شعائر الاسلام خفية ويتكلمون بالعربية فيما بينهم فشدد النصارى البحث عليهم ووضعوا لذلك محاكم التفتيش الشهيرة في بلاد اسبانيا وعذبوا كل من كشفوا عن دخيلة امره بالضرب والقتل والحرق فاصدر فيليب الثاني ابن شارل الاول امرا سنة ١٥٥٦ (٩٤٦) بان لا يتكلموا بلغتهم العربية فيما بينهم وان لا يسموا اولادهم باسماء المسلمين وان يرسلوا جميع اولادهم ممن عمره ثلاث سنين الى من عمره خمس عشرة سنة الى المدارس النصرانية . ومنعواهم من حمل السلاح ولو كان سكيننا صغيرا فاشد ذلك على الموريسكو وثاروا ثورة عظيمة في كورة البيرة وجبالها ودامت الحرب اربع سنين لقي فيها فيليب الثاني شدة عظيمة وابلى المسلمون فيها بلاء المستائس الى ان قل عزهم وانهزموا سنة ٩٦١ (١٥٧١ مسيحية) واشتغلت اسبانيا اثر ذلك بحروب مع انقلطرة ثم توفي فيليب الثاني وخلفه ابنه

(١) الموريسكو كلمة مأخوذة من كلمة مورالتي هي في الاصل بمعنى سكان موريطانيا اي المغرب الأقصى وبعض غرب المغرب الاوسط في اللسان اللاتيني والظاهر ان الاسبان اطلقوها على الجيش الذي حاربهم في واقعة الزلاقة اعني جيش اللمتوينين تحت قيادة امير المسلمين يوسف بن تاشفين لانهم جاءوا من المغرب الأقصى ثم صار لقباً لمسلمي الاندلس بعد ان اخذ الاسبان معظم البلاد ثم خصصوه بعد من تنصر من المسلمين ليفرقوا بينهم وبين النصارى الاصليين

فيليب الثالث . وفي سنة ١٠١١ (١٦٢٠ م) اصدر امرة باخراج جميع من بقي فيه
شائبة الاسلام من اهل الاندلس من بلادهم الى المغرب الاقصى وغيرها من البلاد
فخرجوا منها بعد موته في زمن ابنه فيليب الرابع سنة ١٠١٦ - ١٠١٧

الانبيلاء الاخير

قلنا ان عددا من المسلمين اختاروا الخروج من الاندلس لما راوا بوارق الغدر
والخيانة . ثم عزم اكثرهم على الخروج حين ارغموا على التنصر وضيق عليهم في امورهم
وقد قدمنا انهم كانوا اشترطوا على الاسبان في عقد الصلح ان من رام من المسلمين
الخروج يخرجونه الى بر العدو من غير دفع كراء ولا مغرم
فلما طلب جميع من المسلمين الخروج لم يحضروا لهم الا قليلا من الاجفان حتى
لقوا عناء عظيما

ولما صالحوا اهل جبل (بلقنسة) على الخروج الى فاس اخرجوهم بعيالهم وما
خف من اموالهم دون الذخائر ثم لما اصدر فيليب الثالث امرة باخراج كل من اشبه
امرة من الموريسكو امر بان لا يخرجوا معهم نقود الذهب من المملكة وبذلك لم يجدوا
فائدة في بيع املاكهم فتركوا معظمها واحضروا لهم قليل من المراكب وكان الخارجون
على التقدير الصحيح ثلاثمائة الف ومن المؤرخين من يقول نحو المليون فساد كثير
منهم الى فاس وتطاون وسلا والرباط وتلمسان ووهران وتونس وعددهم يقرب من مائة
وثلاثين الف ومات منهم في الطريق ما يقرب من تسعين الفا من الجوع والتعب وخرج
منهم الى بلاد فرansa برا مقدار مائة الف فاشترط عليهم الافرنج ان يتدينوا بالديانة
الكاثوليكية فرفضوا ذلك فردوهم من حيث اتوا فاحتساروا في امرهم وقصدوا المراسي
الفرانوسية للسفر الى المغرب فمات كثير في فرنسا ونجا قليل منهم وقد تسلط اعراب
البوادي على كثير ممن خرجوا الى فاس وتلمسان في الطرقات ونهبوهم ولم يسلم من ذلك
الا الذين خرجوا الى تونس

الاندلسيون في البلاد التونسية

علاقة الاندلس بتونس قديمة من وقت الدولة الحفصية فقد وفد منهم على تونس

عدد كثير في مدة الحفصيين لا سيما في زمان السلطان المنتصر بالله الحنصلي وكان اوفودهم على تونس اثر عظيم في انتقال حضارتها من البساطة الى الرقي والترف والرقية قال ابن خلدون في ذكر المنتصر « ومدت اليه ثغور اقصاية من العدوتين (هي عدوة الاندلس لانها ابعد عنا من عدوة المغرب) يد الاعتصام بها اجتمع بحضرته من اعلام الناس الوافدين على ابيه (ابي زكرياء) من شاعر مقلق وكاتب بليغ وعالم نحري وفي ايامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنيها وتائق الناس في المراكب والملابس والمباني والماعون والانية » وكان بتونس في الدولة الحفصية جنود من الاندلس خاصة وكان رجلا شوري السلطان من الموحدين ومن الاندلس قال ابن خلدون عند ذكر نزول الفرنسيين على قرطاجنة « وتفاوض السلطان (اي المنتصر) مع اهل الشوى من الاندلس والموحدين - ثم قال - وملئت سواحل رادس بالمراطة من جنود الاندلس والمتطوعة »

وايضا قد كان بين تونس والاندلس ارتباط بولاية ابي حفص الهنغاتي جد الحفصيين امارة اشبيلية من جهة عبد المؤمن بن علي ثم ابنه عبد الواحد ثم ابنه ابو زكرياء لذلك لما انجلي المسلمون من الاندلس جلاهم الاخير كانت البلاد الترسية من اول ما وقع نصب اعينهم في هجرتهم فركبوا اليها البحر ونزلوا بشطوطها والظاهر ان نزولهم كان بمرسى بنزرت و بمرسى المهديّة ومن ذينك المرسيين قصدوا حاضرة تونس ثم تفرقوا في البلاد فاقبلهم اهل المملكة بالترحاب ولم ينسبهم في طريقهم نهب ولا ضرر كما قلناه مانفا وقبل ان يقدوا على الحاضرة ارسلوا الى اهلها يستنبئون ايسر حوّلهم بالدخول فوجدوا من اهل الحاضرة رغبة في قدومهم واكراما لمثولهم

وقد وقفت على كتاب اسمه نور الارماش في مناقب سيدي ابي الغيث القشتاشي الفه السيد المنتصر القفصي وكان من مرّيدي سيدي ابي الغيث وهذا الكتاب موجود بخزنة جامع الزيتونة تحت عدد ٢٨٨٣ قال في اول الفصل الثاني منه ما نصه « لما جاء الاندلس لتونس كنت انا بتونس برسم الزيارة وكنت ذات يوم خارجا من باب شرقي جامع الزيتونة فلقيت كبراء الاندلس ومشائخهم وفي ايديهم ورقة كاعظ وهم يفتشون على من يقرؤها لهم فصادفوني فقالوا انت تقرا خط الشيخ سيدي ابي الغيث فقلت لهم نعم فاطلعوني على ورقة مكتوبة بالاخضر فيها مكتوب « الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الى ساداتنا الاندلسية خصوصا منهم سيدي فلان وسيدي فلان الى ان سمي من اكبرهم
عشرة رجال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فلا مزيد بحمد الله تعالى الا خيرا
وانا داعي لكم بخير وما ذكرتم لنا على اني استخير الله تعالى لكم فاستخريت لكم عند والدي
والابناني لانه عند استاذي سيدي محمد حنيفة والثالث لانه عند والدي فرايت لكم خيرا
والمهدية مشتمة من الهدي وانتم كما قال الشاعر

تحيي بكم كل ارض تمزلون بها * كازكم يبقاع الارض امطار

وذكر تكلمة الاربعة الايات . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته من العبد الفقير ابو
الغيث ثم اخذوا الورقة من يدي وساروا فرحين مستبشرين بكلام الشيخ انه
وهذه الحكاية صادرة من شاهد عيان وهي اجلى ما يمثل انسا جالية الاندلس ولا
عاد لها فقرات مثلها في كتب التاريخ ويستفاد منها امور احدها ان اهل الاندلس
نزلوا بشاطي المهدي لقول الشيخ لهم والمهدية مشتمة من الهدي فتفاعل لهم بذلك الثاني
انهم كانوا على حالة جهل حتى لم يستطيعوا قراءة كتاب الشيخ ابي الغيث الثالث ان
اسناد رعايتهم الى عشرة كانت من الامر المطرد فيهم في سائر احوالهم ومنه كان رؤسهم صناعة
الشاشية - وهي من مئائر الجلاء الاندلسي - عشرة يلقبون عندنا الى اليوم « بالعشرة الكبار »
الرابع انهم كانوا اوجسوا خيفة من سوء القبول فوافدوا الى الشيخ من يراجعوه في شأنهم
ولذلك استبشروا لما راوا منه حسن القبول لان الشيخ ابا الغيث في ذلك العصر هو ومعتقد
اهل تونس من امير ومأمور

وكان وفود الاندلس الى تونس في سنة ١٠١٧ في ولاية عثمان داي قال ابن ابي
دينار في المونس « وفي سنة ١٠١٧ والتي تليها جاءت الاندلس من بلاد النصرى نفاهم
صاحب اسبانية وكانوا خلقا كثيرا فوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق ضغنهم على
الناس واخذهم ان يعمرها حيث شاعوا فاشترى الهنثام وبنوا فيها واتسعوا في البلاد فعمرت
بهم واستوطنوا في عدة اماكن ومن بلادهم المشهورة (سليمان . وبلي . ونيانو .
وقرنالية . وتركبي . والجديدة . وزغوان . وطبرية . وقريش الواد . ومجاز البساب .
والسلوقية . وتصور - وهي من اعظم بلادهم واحضرها - والغالقة - اي قلعة الاندلس -
 وغير ذلك بحيث تكون عدتها ازيد من عشرين بلدا نصاراهم مدن عظيمة وغرسوا الكرم

والزيتون والبساتين ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين وصاروا يعدون من اهل البلاد «
ولم يذكر ابن ابي دينار من استوطن منهم بحاضرة تونس وبلد بنزرت فاما تونس فنزلها
منهم اهل الصنائع والفنون فاهل الصنائع الدقيقة سكنوا المدينة وهم اهل الثروة منهم وبنوا
لأنفسهم حومة تعرف بزقاق الاندلس قرب جامع القصر . واما اهل الصنائع الاخرى وبعض
الفلاحين من اهل الحواضر فسكنوا ربض باب السويقة وهم اول من بنى هناك خارج
الصور فبنوا الحومة المعروفة بحومة الاندلس ولم يزل من بقاياهم هنالك عائلات منهم
عائلة الاندلس

ولما نزلوا تونس احتفى بهم اهل البلد قال السيد المنتصر في مناقب سيدي ابي الغيث
القشاش « ولما ان جاء الاندلس الى تونس ضاقت بهم الحاجج والطرقات والأسواق
والديار والمخازن والحوانت وصاروا ياتون الى الشيخ والى سماطه وجرى معهم الشيخ
رضي الله عنه كالريح المرسلة في اطعام الطعام وكسوة العريان حتى اني احصيت ما يخرج
لمؤنتهم اثنتا عشرة مائة خبزة من القمح وقفيزين من الدقيق والكسكسو شيء يابس وشيء
مسقى وزوج اجمال من الخروب - اهل الدواب - بخلاف اللبن واللحم راسين بقر
كل يوم هذا على حساب العام كامل ضيفهم الشيخ ولما كثر الاندلس بتونس وعمرها
اقلعها ودواثرها وعمرها الجزيرة وكثرت بلدانهم وكثر خيرهم وحرثهم وتاهلوا صاروا
ياتون من كل بلدانهم لزيارة الشيخ سيدي ابي الغيث وياخذون على يديه العهد من كل
بلد حزبا وكل حزب يجعل له نقيسا والنقيب هو شيخ الفقراء ويعطيه علما - اي علما -
اخضر ويوصيه بطاعة الله وكان الاندلس ممثلين لامر الشيخ سامعين له مطيعين في كل
امرو كان يحسن اليهم ويواسيهم ويكاتبهم وياخذ بخواطرهم ويقضي حوائجهم في كل ما
يحتاجون اليه وكان اقربهم اليه سيدي محمد بن عبد الرفيح الاندلسي اه »

اما بلد بنزرت فقد سكنها الاندلس وبنوا بها حومة تعرف الان بحومة الاندلس
واسموا قربها قرية منزل جميل ومنزل عبد الرحمان والعالية وغار الملح وكذلك نزلوا بمنازل
من الجزائر القبلية غير ما ذكره ابن ابي دينار مثل منزل ابي زلفى ومنزل تميم بالدخلة
وقرية الفهري وقرية دار شعبان ونزل فريق منهم ببلد نابل

وقد نظم الاندلسيون لانفسهم بهذه البلاد نظاما حفظ لهم عوائدهم وقوميتهم الاصلية

واقاموا عليهم كبيرا يلقب بشيخ الاندلس فكانوا يحكمونه في فصل الخلاف بينهم ويرجعون اليه في مهامهم ودام هذا الوظيف فيهم الى مدة الامير محمد باشا وآخر من وليها الشيخ مصطفى شلبي بعد سنة ١٢٧١

الاندلس بالمغربين الاقصى والاوسط

اتصال اهل الاندلس بالمغرب الاقصى قديم من عهد الدولة اللثونية ثم الموحدية ولما استولى الاسبان على غرناطة قصد سلطانهم ابو عبد الله بلاد فاس وتبعه جمع عظيم منهم ثم لما انجلى الاندلسيون الجلاء الاخير قصدت جموع عظيمة منهم بلاد المغرب واستوطن معظمهم مدينة سلا ورباطها المعروف اليوم بالرباط او بقلعة سلا وبنوا هنالك قصورا ودورا وحمامات وانتفع بهم ملوك المغرب في تعليم الصناعات وتدييج الحضارة وجندوا منهم جندا عظيما في البر والبحر وبهم فتح الملك المنصور السعدي اقليم السودان فمن اجل ذلك لقب مساموا السنتقال عند الافرنج بلفظ مور .

ويظهر ان جل اهل الثروة من الاندلسيين قصدوا المغرب الاقصى واستوطنوا فاسا وبنوا هنالك الحضارة الاندلسية في جميع مظاهرها ولا سيما فنون البناء والنقش والتزيين واساليب المعيشة وبث العالم

وكذلك خاتمة علماء الاندلس قد انتقل معظمهم الى فاس وبنوا هنالك العلوم فكان دخولهم نهضة عامة في الحضارة العلمية والفنية بالمغرب الاقصى

واما المغرب الاوسط فقد نزلوا منه بتلمسان ووهران وانجاز الى تلمسان طائفة من اهل العلم فظهرت هنالك ايضا نهضة في العلم والحضارة

والخلاصة ان ما لحق مهاجر الاندلس من السعادة والعبوان قد حصل نقيضه فيما اخلوه من بلادهم التي سكنها الاسبان وما عمروها وعد المؤرخون اخراج الاندلسيين من وطنهم اعظم خنطيمة اخطاها فيليب الثالث على مملكته واشفى بها لاجل ذلك على الفقر والتآخر واذا نظرت الى للبلاد وجدتها * تشقى كما يشقى العباد وتسعد *



* النحل *

بقلم الاستاذ مصطفى الكعك العنصر بالمجلس الكبير ورئيس جمعية قدماء الصادقية
والمحامي بتونس

النحل نوع من الحشرات ذوات الاجنحة خضها الله بخصال عديدة جعلتها من
ابعد المخلوقات

كل الحيوانات لها هياكل تحمل اعضاء الجسم لكن النحل وسائر الحشرات هيكلها
خارجي بعكس الحيوانات ذوات الالدية والسمك والطيور . خلق هذا الهيكل من
نسيج صلب يتخلله شعر كثيف جعله الله للنحل كآلات لها تقضي بها ما تحتاجه من
الضروريات فبحسب الظروف تراها تصير هذا الشعر غريبالا او مبردا او منشارا .

يتجزأ جسد النحلة الى ثلاثة اقسام ممتازة بعضها عن بعض الا وهي الراس والصلب
والبطن وكل واحد منها يستحق التأمل بامعان

الراس - الراس جمعت به كل الحواس وهو مقر العقل به خمسة اعين ثلاثة صغير
لا تبصر الا عن قرب واثنان عظيمتان تسمح للنحلة ان تنظر في آن واحد الى كل الجهات
وقد غلط من زعم انها حاسة ضعيفة الادراك فانها تهدي النحلة في طريقها عند رجوعها
من مرعاها وتدخل لها التمييز بين الالوان . حتى قال بعض علماء النبات ان الالوان
المختلفة التي ازدانت بها الازهار جعلها الباري للنحل رائدا ودليلا

اما حواس السمع والشم واللمس فكانها القرون المحلاة بها رؤوس النحل . لم
يبق احد يشك اليوم في وجود هذه الحواس خصوصا بعد التجارب التي قام بها علماء
هذا الفن . ولندكر منها نبذة على سبيل الاجمال

اخذ النحال السويسري هوير نحلة وجسها في قفص من حديد فاجتمعت النحل
حولها وجمعت تدخل قرونها وتلصقها بقرون السجينة للمخاطبة معها باللمس . ثم
حاولت اخراجها من القفص فلم تستطع لذلك سبيلا فاقتمعت بان تهد هذه المسكنة
بشيء من القوت حتى لا يقضي عليها الجوع فتموت .

واخذ غيره جبها واخفاه في بعض الزوايا فاذا بالنحل التي كانت مشتتة باطراف
الحجرة اسرعت نحو الجبج لما سمعت دوي الحشرات التي فيه . نعم ان النحل لا ترتعد

إذا اطلقنا حذوها بندقية ولكنها وان لم تنزعج فهي تسع وما مثلها الا كمثل عابر طريق يسمع الصواغق وبتماذى في السير غير مكثرت ولا مبال الصلب - الصلب محل العمل والحركات نرى به وسائل الطيران والسير اي الاجنحة والارجل وما هو مقتصر في الحقيقة على ذلك . فان الارجل لها وظائف شتى تقوم بها دون السير فالرجلان المتقدمان لها امشاط تزيل بهما القذرات عن الراس واللسان . والتاليان بهما مخطاف جعله الله للنحل آلة تجني بها الفضول الحلوة والرطوبات التي ترشح بها الازهار . اما الرجلان المؤخرتان فيفخذيهما نوع كسنانة تجمع بهما النحلة ما تقتنيه من الرطوبات

البطن - يحتوي البطن على اهم الاعضاء الحيوية كاعضاء التغذية والتنفس والدفاع عن الحياة . ترى النحل العسل وتتغذى في آن واحد لذا جعل الله لها حوصلة كحوصلة الطائر يجمع بها ما تمصه من الازهار . فاذا خلت الى بيوتها استطاعت احشائها تمييز العسل من مواد التغذية ونفقت الاول في التخاريب (بيوت العسل) وارسلت البقية الى المعدة اين يتندي هضمها في الحال اما التنفس فهو يقع بواسطة جعب موزعة بكامل الجسم تنتهي كلها بجيب جلدي مقرة بالبطون

يختتم بطن النحلة بحمة تسع بها وتستمد لها السم من ظرف صغير الحجم ككائن باعلاها . ومن خصائص ابر النحل انها تنتهي من اسفل على شكل صدارة فاذا اسعت بها رجلا عجزت عن استخراجها وبقيت الحمة بالجرح الذي احداثه وكثير ما يتمزق جانب من احشاء النحلة اثناء اللسع فتتوت .

تقسيم النحل

جسج النحل دولة صغيرة امتازت بنظام عجيب يهت كل العقول . وما ارشق وصف الروائي الفرنسي الفونس كارحين قال : « جعلوا النحل مثال احسن حكومة ملوكية وما كذبوا في التشبيه . لكن قوام هذه الحكومة منشاة فقد القوانين والقضاة والمحامين . بل ان نظامها ناتج عن احترام كل للوظيفة التي خالق لاجلها لا يتعدها . فلا الانشى

تحاول ان تصير ذكرا ولا الذكر يسعى ان يصبح يعسوباً . نجد في كل جبج ثلاثة انواع من النحل الامير او يعسوب والاناث والذكور .

اليعسوب - الامير في الحقيقة انهى النحل وظيفتها البيض فهي تقضي كامل يومها في القيام بهذا الواجب تضع ستة الاف بيضة في معدل الايام . وقد تعاملها بقية النحل بخضوع واحترام فمتى مرت بمقربة من جماعة من النحل انزلوا عن طريقها مظهرين علامتهم التعظيم . البعض يقبلها بقرونه وغيره يذاولها طعاما على سبيل الهدية والاكرام . وما هذه الطاعة من الخوف بل هي نتيجة المحبة بلا ريب . لان النحل اذا افقدت ملكتها المحبوبة زال رشدها واصبحت جسدا بلا روح كفرع شجرة قطع من امه فهو يموت اذا لم يجد شجرة غيرها تغذية . ولو اختلسنا يعسوباً راينا الحزن الم بجميع النحل فهي تعطل كل اشغالها وتضحى تبحث عليه داخل الجبج وخارجه واذا لم تجده وتحقت الرزية رجعت الى وكناتها حزينة كثيفة تسمع عويلا مولما لا يخفى على من له خبرة ودراية بحياة النحل .

لا فرق بين البيضة التي ستخرج منها ملكة وغيرها من البيض سوى ان الاولى توضع بنخروب متسع له شكل مخصوص تبقى به البيضة ثلاثة ايام ثم تنفلق عن دورة صغيرة تتولى النحل تغذيتها بطعام ابني تستخرجه من غذاءها ثم تستحيل الدودة يعسوباً بعد ثلاثة عشر يوماً . فيخرج من مهددة لينزول كل الخلايا واحدة بعد واحدة كانه يبحث عن شيء يخشاه او يتمناه . نعم انه يبحث هل هناك يعسوب آخر يمكن ان يزاوجه في الملك فيقتله ليستريح . ومتى تم له الامر واستقر الملك فكر في التناسل بعد حين . غير انه لا يمكن للاميرة ان تبيض الا بعد ان تطارح انفرام احد الذكور وهي تراعي مع ذلك حرمة المنزل وشعار الملك ولا ترضى ان تدنس شرف الجبج بكونها لاحد الصغار . ولذا تراها بعد عن الجبج لقضاء واجبها المحتوم . تخرج عند الزوال وتحوم حول المنزل ثلاث او اربع مرات لتعرف مقرة عند الرجوع . ثم تصعد في الهواء للبحث عن ذكر تركز اليه . ومن تعاسة هذا المسكين ان قرانه باحدى الملكات يقضي على حياته بلا ريب لان عضو التناسل منه يبقى بقرينته مع جانب من احشائه .

واذا رجعت الملكة للجبح اسرعت باخراجها واستعانت بما كان حولها من النحل .
تموت الملكة غالبا من الشيخوخة في السنة الرابعة من عمرها وهي اطول النحل حياة
لان الاناث لا تتجاوز حياتها ثلاثة اشهر والذكور دون ذلك بكثير .

الاناث - الاناث او العملة اكثر النحل عدا . نجد بالجبح الواحد ما ينوف عن
عشرين الفا تشغل باشغال مختلفة على حسب ما يسمح لها به سنها وما اكتسبته من
التجارب فمتى كانت صغيرة كلفت بشؤون المنزل تحضر الغذاء وتوزعه على فراخها .
تحافظ على بقاء حرارة معتدلة بالجبح . تزيل القذرات والاساخ . تحدث باجنحتها
تيارا من الهواء اذا احتاجت لتغيير الطقس . تحرس باب الجبح من الاعداء حتى اذا
ما اجتازة عدو طلبت النجدة وقتل الدخيل لسعها بالابر . اما اذا بلغت اشدها خرجت
من الجبح سعيا وراء القوت والغسل والماء .

بحث طويلا علماء هذا الفن هل تبيض اناث النحل ام لا تبيض . ولم يبق شك
اليوم ان الاناث لا تبيض الا عند الضرورة والاحتياج . نعم انها لا تبيض الا اذا اضاعت
ملكته ولا تبيض اذن الا بزر ذكور . وفي ذلك حكمة بالغة لمن اعتبر . فللملكة
لا تظل عن جبحها الا اذا خرجت للبحث عن ذكر تركز اليه فان لم تجده استمرت
في البحث الى ان تنأى عن وكرها ويستحيل عليها الرجوع فتموت شهيدة حب التماسل
والعمران . ولما كان السبب الوحيد في هلاكها فقد الذكور ويخشى ان تكرر هذا
الحادث من اضمحلال كثير من البيوت اقتضت حكمته تعالى الهام الاناث للبيض عند
الازمات . ومثل ذلك في الطبيعة غير قليل فقد اقتضى ناموس التكرار ان كل حي
اذا تهدده الهلاك كثر نسله في الحين . فالشجرة الضعيفة تكثر ازهارها وثمارها بخلاف
الشجرة التي لا تخشى على نفسها الزوال . بل الانسان نفسه خاضع لهذا الناموس الم
نران طبقات الفقراء من الناس اي الطبقات التي تتهدده الامراض وكل الاخطار هي
اكثر الامة ابناء .

تموت النحلة العاملة في الشهر الثالث من عمرها بعد ان تلوح عليها علائم الكبر
بان تمزق اجنحتها وينزل روثق جسمها اللامع

توجد في النحل سجية قاسية اذا صارت احداها عاجزة عن العمل نبذتها خارج الجبج وتركبتها تقاسي آلام الجوع . ولا يحن قلبها لصراخها مفضلة مصلحة الجمهور على مصلحة الفرد . على ان النحل ليست بعديمة الاحساس فمتى استغاثت احداها رابت الباقيين لا يبالون باي خطر لياخذوا بثأرها او يحموها

الذكور -- الذكور اكبر سكان الجبج جسما واقلم نفعا . فهم لا يشتغلون بشيء يعيشون عائلة على الاناث العاملات لكن متى جني العسل تطرد الذكور من الجبج بعد ان تقطع اجنحتهم واذا ابوا اشبعوا ذلا وهوانا وتركوا منبوذين باحدى الزوايا الى ان يموتوا جوعا وذلك جزاء من لا نفع فيه

مسكن النحل

« واوحى ربك الى النحل ان اتخذني من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » متى اختارت النحل مقر سكنها اسرعت بازالة ما فيه من الاوساخ . ثم سدت جميع الثقوب والنوافذ التي فيه بطلي نباتي يقيها من ماء المطر والارياح . وهذا الطلي له استعمال اخر من الغرابة بمكان . اذا دخل مسكن النحل عدوك الفاراة اجتمعت عليه وقتلته لكنه يعسر عليها اخراجه من الجبج فتحيط به الطلي من جميع الجهات حتى لا تخشى منه فسادا

وبعد هذا التحضير تشرع النحلة في بناء بيوت من الشمع لحزن العسل ووضع البيض بيوت اتفق علماء الهندسة والحساب على ان شكلها المسدس المتساوي الاضلاع هو احكم الاشكال وامنتها بنيانا . ومع ذلك فان النحل لا تحتاج الى كمية عظيمة من الشمع لاقامة خلاياها . فقد عبروا ان رطلا من الشمع يكفي لتشييد قرص يحتوي على اثني عشر صاعا من العسل .

اوصاف النحل

من اوصاف النحل النظافة ومراعاة قواعد حفظ الصحة وبعض بوارق من الذكاء

لا تتحمل النحل القذورات فهي تهيج غضبها حتى اذا قرب منها رجل عفن
يتصبب عرقا هجمت عليه ولسعته .

اما ذكائها فلا شك فيه ولنضرب مثلا يكون اقوى دليل عما نقول . عرض احد
النحالين جبجا بالمعرض المنعقد بباريس سنة ١٨٨٥ وجعل اعلا من زجاج ليطلع
الزائرون على كيفية اشتغال النحل فلما تفتتت بذلك كرهت مراقبة الاجنبي لاحوالها
وجعلت على الباور طليا غير شفاف حجبها عن نظر الناظرين . وفي آخر القرن الغابر
ظهرت ببعض بلدان سويسرا حشرات عظيمة الجسم تدخل الاجباح بالليل وتعش فيها
فسادا وبينما كانت العلماء تبحث عن الدواء الناجع لهذا الداء اكتشفت النحل وحدها
وسيلة تحميها . وهي ان جعلت امام باب الجبج اسوارا من طين متوازية لا تسمح
بالدخول الا لمن كان جسمه صغيرا

تلك هي اوصاف النحل واعلمي ان من كانت هذه اوصافه لجدير بان يتخذ شعارا
للقياصر والماوك (١)

(١) النحلة شعار الامبراطورية في عهد نابليون الاول



* محاضرات الخلدونية *

اعتنت الخلدونية في هذا العام اعتناء كبيرا بإحداث محاضرات في قاعاتها الكبرى في مختلف القنون وشتى المواضيع دعت إليها نوابغ الادباء والمفكرين من التونسيين وقد بلغ عدد هاتيك المحاضرات خمسة وسبعين محاضرة بعضها في تاريخ الادب العربي - وتاريخ الادب بتونس - والبعض الآخر في حفظ الصحة وعلم الاقتصاد والتاريخ والفلك وغير ذلك مما يهم الشعب التونسي وهو في اوكسد الحاجة اليه وان مضت الخلدونية في هذا السبيل المحمود لا تلبث ان نراها مقتفية آثار شقيقها الجامعة المصرية التي سبقتهما في الوجود

وكان في العزم نشر جميع تلك المحاضرات غير ان هذا السفر ضاق عن جميعها ولذلك اقتصرنا على بعضها مع الوعد بنشر الباقي في امد قريب

محاضرة الاستاذ الفاضل ابن عاشور

في القضاضي الفاضل

سأدتني الفضلاء

احبيكم تحية طيبة واشكركم شكرا جزيلا على تفضلكم بالاصغاء الي وبذلك انني على هيئة الخلدونية التي كانت واسطة التعارف بيننا في هذا الموقف وعلى العبارات التي اثنى بها علي الاستاذ الرئيس في كلمة التقديم عبارات صادرة عن نفس راشحة بما فيها وكال لا ينظر الا الكمال

ونرجو جميعا ان يكمل سير الخلدونية نحو الكمال الذي نرجوه لها والذي يهدد المجاس الحالي طرقا لتحقيق آمالنا في نواله

سادتي

نهضنا بعد التالم الميت والصبر الجميل الى قيودنا نحاول تفكيكها وقوانا نهالج
منها ما انحط وفهمنا ان التالم لا ينفعنا والصبر لا يدفع من آلامنا شيئا . ان هذا الداء
الجارف الذي اصابنا وسميناه الانحطاط الشرقي قد شمل من الشرق كل مكان
فالشرقي مصاب في قوته ومعارفه مصاب في ثروته مصاب في خلقه ودينه مصاب في
قومته ووطنيته .

ليس من مقصودنا شرح هذا الانحطاط الآن ولا الالم باسبابه ولكن نريد
ان نذكركم ان هذا البؤس قد خاف بسطة وهذه الذلة خلفت منعة وعزا
نحن بحاجة لادراك هذا وانما يدرك الابن سقوط منزلته يوم يقاب التاريخ فاذا
صحائفه البيض وقف على اجسادده واذا المآثر العظمى التي لآل بيتيه من قبله ناطقة
بسببه منادية عليه بالخزي هنالك ينزع عنه رداء الخمول ويقامر بنفسه في مهترك
المجد والفضل

واذا كان جده الاعلى قد خلد التاريخ بطولته يوم كان الفضل لبطولة السيف
والشرف في انتقاد الحمية فلا يوجب عليه ذلك ان يكون رجلا سيف في عصر العلم
او رجلا بطش في عصر الحماة وانما ينتقي للعضمة ناحية تناسب عيشه وما يدعوه له
وسطة يكمل بها سائسة ركبته حاتمات مجده تكون غرتها وقبة على صرح نباه
تظل شرفاته

ذلك مثل موقفنا حيا لمجدنا القديم وحضارتنا الهرمة ولاحياء القاضي الفاضل
على منبر هذه الجمعية المستنيرة اعظم دليل على انتباهنا لعمل على تجديد مجدنا ونسعى في
اظهار ما انطمس من معالم حضارتنا القومية

للقاضي الفاضل شخصية عظيمة ملأت التاريخ حتى ضاق عنها فحسن سمعته
والاعتراف بفضلها حيا وميتا لم يفقداهما مغفل ولم يطمع للغرض منهما طامع وشهرته التي
ملأت بطون المجلدات ثمانية قرون لم تزل هي هي كما ترجمه العماد الكاتب وهو
عصريه او كما ترجمه من يكتب عنه اليوم من انباء القرن الرابع عشر

وفوق ذلك فقد كانت نواحي عظيمة عديدة ولا بدع ان قلنا كان الجامع لما يطلب من العظيم الشرقي في تلك القرون وروح الفضل في الدولة الايوبية ومرجع فيخار الانتصارات الاسلامية في حروب الصايب كان عالما جليلا وصل بعلمه لما وصل . كاتباً مجيداً . كثيراً تمكن بفضل ذلك من حفظ منزلته الادبية والاجتماعية . ذا حسب من بيت رفيع زانه . بخاق طاهر وسماحة نادرة وانقطاع للمصاحبة العامة لا يعرف الكلل سياسياً في فضيلة . عسكرياً في شفقة . انعقد الاجماع على فضله فكان اهل التراجع والتواريح الذين كتبوا عن حياته وآثاره كلمة واحدة في الثناء عليه اما السمعة الفائقة التي حازها في حياته وبعد موته فقد كانت مكافئة ما له من مواهب وفضائل

وفوق ذلك - ايها السادة - فقد افرد الكلام على القاضي الفاضل بالتأليف وتلك منزلة في التاريخ الاسلامي ان الله عظماء بامثالها فقد نقل المقرئ عن كتاب يسميه « الدر النظيم باوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم » ولم يذكر شيئاً غير ذلك عن هذا الكتاب ولا مؤلفه وليس هو في عداد الكتب المترجمة في كشف الظنون ولا المذكورة في فهرس المكتبة الخديوية وانما ذكره المقرئ استطراداً عند الكلام على المشهد الحسيني ذكر ان في هذا الكتاب ما يثبت ان القاضي الفاضل بنى جوار المشهد مسجداً وميضأة وساقية وتنف عليها اراضي عديدة كانت له خارج القاهرة

نريد ان نلمح لكم بهذا للسمعة الرائجة في التاريخ والذكر الطيب الذي كان لهذا الرجل العظيم وبدا الاندثار يمد له يداً وذلك ما حجب الينا ان يكون القاضي الفاضل موضوع حديثنا اليوم

نسبه وحياته

قال ابن خالكان هو ابو علي عبد الرحيم ابن القاضي الاشرف بهاء الدين ابي المجد علي بن القاضي السعيد ابي محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن احمد بن الفرج بن احمد اللخمي

ولد في منتصف جمادى الثانية سنة ٥٢٩ بمدينة عسقلان وقد كان والده قاضياً بها وانما يهمننا بسط ترجمة القاضي الفاضل لما نبني عليها من توسم آثارها في ادبه

ونحن اذا اردنا ان نعبر عن العوامل التي يخضع لها الانسان في نفسه دون تدخل في بحث نفسي عميق قلنا انها لا تعدو ثلاثة الاصل النسبي العتيق والحالة العائلية والوسط الذي يفتح الانسان فيه عينيه

اما اصل القاضي الفاضل فلم نهتمد لكلمة ترشد له في جميع المصادر التي لدينا الا كلمة اللخمي التي عقب بها ابن خلكان سلسلة نسبه

ولحم قبيلة عظيمة من قبائل اليمن ذات مجد طارف وتليد ومعلوم ان البداوة التي جاء الاسلام وهي باليمن عارضة لهم نشأت عن حضارة مفرطة بعد سيل العرم ولكن هذه القبيلة - قبيلة لحم - بقي المجد فيها الى عهد قريب فقد تملك الحيرة منهم آل المنذر الذين آخرهم جبلة بن الايهم ومنهم احد نعماني النابغة فهي من قبائل اليمن ذات الحضارة المترفعة التي ساعدتها ظروف الزمان على الاحتفاظ بهجدها الى ظهور الاسلام

فالقاضي الفاضل اذن من اصل عربي ذو قريحة ونفس عريتين يمتاز بتوارث الحضارة والمدنية

اما وسطه العائلي فقد كان والده سليل مجد وكان قاضي الدولة الفاطمية بعسقلان الثغر العظيم المحجوج

فهو لا شك كان يعيش عيشة متهدنة فيها نصيب من التكلف الذي كان ميزة تلك القرون ولا سيما بالشرق في الدولة الفاطمية دولة النظام الارستقراطي الكامل في الاسلام فعيشة القصور الفاطمية بمصر لم تكن تقل عن بذخة القصور باروبا بل يزيد بها افراطا في ذلك الازواق الشرقية التي طبعها الحضارات المتتالية على الميل للزخرفة والاربعون قرنا التي تشرف عليهم من قمة الاهرام.

ولا شك في ان وسطه العائلي قد كان مع ذلك وسط فضيلة من مجموع حكايات عن والده اثبتها المقرئ والسبكي وابن خلكان كما يغلب على الظن ان نصيبه من زخرفة عصره كان وافرا

ذلك هو النظام البيتي الذي نشأ عليه القاضي الفاضل متلاقيا مع حميرته الباذخة اما البلد الذي ولد فيه القاضي الفاضل فهو مدينة عسقلان من بلاد فلسطين ثغر

عظيم على ساحل البحر المتوسط كان في الدولة الفاطمية من ازهر بلاد الاسلام وانصرها
ويكفي دلالة على سمو هذا الشجر في التاريخ القديم خصوصا في نظر الديانة المسيحية
ما ذكره شارح القاموس من انه كان محجج النصارى لما يشاع من ان به بيت ابراهيم
الخليل عليه السلام

ومعلوم ان بلاد فلسطين من اعرق البلاد في الحضارات وهي مسرح التاريخ
المقدس ومهبط التوراة والانجيل واعرق ما فيها ثغورها التي على البحر مجاز الغرب
الى الشرق ومزدحم الحضارات ومأرز الفينيقيين بعد سفراتهم البحرية بما انطبع في
عقولهم من آثار الحضارات المختلفة ولبعض العلماء بحث يشب به ان مدينة عسقلان
كانت قاعدة المملكة البونيقية يوم امتدت على كامل الخط البحري من شمال الشام
الى ما يلي مصر

وعلى كل فنصيب عسقلان ليس باليسر من حضارات الشرق القديمة اما في القرون
الوسطى وخصوصا في وقت نشأة القاضي الفاضل ففيه يقوم تراحم عظيم بين حضارتي
الشرق والغرب الذي مهد لحروب الصليب والقاضي الفاضل من ابطالها ولا ينكر
احد تاثير الغرب على الشرق والشرق على الغرب بواسطة تلك الحروب والتفاعل المدني
الفكري الذي كان يقوم بجانب المنازلة والتطاحن الحربي
ويؤيد هذا المشادة العظيمة التي كانت بين الجيشين على افتكاك عسقلان واستمساك
الفرنج بها لآخر لحظة حتى اضطر صلاح الدين لتخريبها قطعاً لآمال اعدائه منها اذ
كان يعلم منزلتها عندهم كما فعل فاتح افريقية بقرطاجنة

في هذه المدينة نشأ القاضي الفاضل فكانت ثلاثة عناصر نفسيته وهي عناصر متلاقية
كانما تستمد من اصل واحد او كانا اجتمعت لتخرج لما القاضي الفاضل توافاً للبهجة
والتنسيق فروح الحضارة والبدخة سائدة في نسبه وفي وسطه العائلي وفي وسطه الاجتماعي

نشأته الادبية

لم نستفد شيئاً عن نشأته العلمية بعسقلان ولكن المؤرخين يتناولون بنا فجأة
لدخوله القاهرة وتعرفه بابن الخلال راس ديوان الانشاء في الدولة الفاطمية وتمرنه على

التحرير بديوان الانشاء ولكنهم لم يغفلوا بضاعته التي ورد بها على الديوان فقد حكي ابن الاثير بسنده عن القاضي الفاضل انه لما مثل بين يدي ابن الخلال هذا واعلمه انه يريد ان يتهم على التحرير تحت رقابته - وديوان انشاء الملك يومئذ لا بد ان يشمل اعيان حملة الافلام - سأل ابن الخلال ما ذا اعددت لذلك فقال لا شيء سوى القرآن وديوان الحماسة

فلا بد ان يكون قد حفظ القرآن ببلده وحفظ ديوان الحماسة واخذ من اللغة والنحو والصرف والبلاغة وفنون الادب ما لا يضطر بعده ابن الخلال ان يعلمه كيف يركب الجملة ولا يصلح له لحننا نحويا او كلمة على غير وجهها

وابن الخلال هو من ابطال الادب في ذلك العصر والبارعين في الانشاء بالطريق الذي يسمونه الترسل - وسنة حكم عليه في الكلام على ادب القاضي الفاضل - قال العماد الكاتب في ترجمته من كتابه خريدة القصر وجريدة العصر : (ناظر مصر وانسان ناظرها وجامع مفاخرها كان اليه الانشاء وله قوة على الترسل يكتب كيف يشاء) وقد ذكر له شعرا كثيرا منه قوله : - يتغزل في هلالية -

* عذبت ليال بالعذيب خوالي * وحملت مواقف بالوصال حوال
* ومضت لذاذات تقضى ذكرها * تصبي الحليم وتستهم السالي
* وجلت موردة الحدود فاوثقت * في الصبوة الحالي بحسن الحال
* قالوا سراة بين هلال اصلها * صدقوا كذلك البدر فرع هلال
توفي سنة ٥٦٦ بعد تملك صلاح الدين بثلاث سنين قال ابن خلكان بلغني ان القاضي الفاضل كان يرعى له عهد الصحبة والتعليم ويجري له ما يحتاجه الى ان توفي وخلفه القاضي الفاضل في رئاسة ديوان الانشاء كما ذكر المقريري ولم تمتد اقامة القاضي الفاضل بالقاهرة الى وفاة ابن الخلال بل انتقل مدة الى الاسكندرية كلف بها بقلم الديوان هناك واستكتب لقاضي الاسكندرية ابن حديد

دخوله في ديوان الانشاء

قال ابن خلكان كانت مكاتب ابن حديد ترد الى القاهرة بخط الفاضل هي

غاية في البلاغة فحسده كتاب الانشاء على فضله وخافوا من تقدمه عليهم فسعوا به الى الظافر وقالوا انه قصر في الانشاء فتقدم له صاحب ديوان الانشاء وقال يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير وانما حسده هؤلاء وسعوا به ليؤذيه مولانا الظافر فامر الظافر ان يكتب الى ابن حديد بتوجيهه واستخدامه في ديوان الانشاء وكان ذلك في وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فكانت حسنة ايامه ومبدا نباهة اسم القاضي الفاضل

قال الفقيه عمارة اليميني في كتاب النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية « ومن حسنات ايامه وما يؤرخ عنها بل هي السنة التي لا توارى بل اليد البيضاء التي لا تجازى خروج امره الى والي الاسكندرية بتسيير القاضي الفاضل واستخدامه لديه في الديوان فقد غرس بذلك للدولة بل للملة شجرة زاكية النماء اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها »

بدخوله هذه المرة للقاهرة رجع الفتى عبد الرحيم - ولا يزال كذلك في نظر ابن الخلال - الى شيخه راس ديوان الانشاء فذا من افذاذ الترسيل فاكمل معه العمل على نحو ما بدا حتى تخلى ابن الخلال عن ديوان الانشاء في وزارة شاور فسعى الكامل بن شاور لدى ابيه الوزير وقعت تسمية القاضي الفاضل عوضا عن ابن الخلال رئيس ديوان الانشاء ودام ثابتا على خطته في تلك العواصف السياسية التي اندرت بانهلاك الدولة الفاطمية من تلاعب شاور وحالفه مرة مع الفرنج ومرة مع عدوهم اسد الدين شيركوه امير السلاطين السلاجقة على الشام - وهو عم صلاح الدين حتى افتتح اسد الدين مصر فاحتاج الى كاتب فاحضر القاضي الفاضل ليمتولى كتابته الخاصة فاعجب منه اخلاصه واتقانه وبقي كذلك الى وفاة اسد الدين وفي وزارة صلاح الدين استخلصه واعتمده واستشاره في تميم ما اراد من مد سلطنة الخلافة على مصر ونزعها من يد الحكومة الفاطمية وانقرضت الدولة وآخرها العاضد بقصر ملكه حي كميث

الدور الرهيب

من هنا ابتدا الدور الرهيب الذي كان للقاضي الفاضل في سياسة القرن السادس

هجري الثاني عشر مسيحي والاثر الخالد الذي اثره في حروب الصليب ونشره عند
الكلام على سياسته

على هذا دام القاضي الفاضل مع صلاح الدين وشاهد بنفسه نتائج ما مهدده للهدمة
الاسلامية من النصر الباهر بعد ان قضى على الآمال الصليبية تماما وباءت دولها بالخيبة
الكاملة وقطع دابر القوم الذين ظلموا

ومات صلاح الدين فلم ير ابنائوه الا ان يحتفظوا بالكنز الثمين الذي تركه والدهم
وراه كنز السداد والفضيلة والراي فدام القاضي الفاضل على منزلته في ايام الملك العزيز
والملك المنصور لما خلف والده بتدبير عمه الملك الافضل ولما قامت الحرب بين الملك
العاقل واخيه وابن اخيه المنصور والافضل وانتصر العادل فتولى امر مصر كان من
الطبعي ان لا يدوم القاضي الفاضل عنده على تلك المنزلة بما يسببه له قربه من الافضل
والمنصور ور ما يناله عقابه

ولكن الرحمة الالهية استأثرت بالقاضي الفاضل ونجت به من تنكيل وهوان بعد
اعزازه الاسلام وصفحه عن زلقات الايام فتوفي يوم دخول العادل للقاهرة ليلة الاربعاء
سابع ربيع الثاني سنة ٥٩٦ ودفن في القرافة الصغرى بسفح المقطم الى هنا يقف بنا تاريخ
القاضي الفاضل تاوته عليكم - سادتي - لما ينسني عليه من مظاهر هذه الحياة الحافلة في
نواحي عظمتها التي نقسمها الى ثلاثة اقسام : الادب والسياسة والاخلاق

* الادب *

ناحية كبرى من نواحي هذه العظمة الفاضلية ادبه الفائق التي كان به علم طور
من اطوار الادب العربي

اجمع الادباء والمؤرخون على انه في طريقته لا يدانيه مدان خضعت له رقاب الادباء
قرونا لا يمترون في تقدمه عليهم وانه القائد الاكبر والمعلم الاول

قال ابن السبكي في طبقات الشافعية « هو عند الادباء امام صناعة الترس المنفوق
عليهم جميعا كما لك والشافعي وغيرها من الائمة عند الفقهاء بل يزيد هو في الادب ان
الفقهاء اختلفوا في ارجحية المذهب وتقدم فلان على فلان اما هو فالاطباق من اهل
صناعته تام على انه الامام الذي لا يجارى والبطل الذي لا يمارى

النثر في ادب العربية حديث النشأة بل في جعلنا اياه من الادب العربي تسامح لان الادب العربي الذي ينتهي بانتهاء الدولة العربية دولة بني امية لم يكن فيه ما يسمى نثرا ادبيا بل لم ينشأ الا مع ذلك الادب الجديد الذي ازهر بين الدجلة والفرات متأثرا بالعقلية الاسلامية الجديدة بعد تلاقي المذاهب ذلك هو الادب العباسي ففيه نستطيع ان نظهر ناحية نسميها النثر تقوم على نحو ما يقوم عليه الشعر العربي يومئذ من تخيل في المعاني ومناسبة لها مع الالفاظ

بعد عبد الحميد نشأت طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ فطريقة ابن العميد والحريري ولسنا بحاجة لشرح ما كان يوقف الامة العربية في بداوتها دون تخطي الشعر الى النثر وحسبنا من هذا ان نجد تكرير المعنى والوقوف دون اكمله وتقطيع اوصال الكلام وايجاز المعنى في لمحة دالة شاهدة فيما نقل لنا من نثر الجاهلية مخالفة لخيالهم وطريقتهم في الشعر لا نريد من الشعر هنا ما يقابل الشعر المنظوم وانما نريد نوعا خاليا عن ترنمات الشعر يقصد به ما يقصد من الشعر في التخييل والعناية بطرق اتصال المعنى

استعمال غير الشعر في هذا الغرض هو الذي نشأ مع الدولة العباسية ولم يكمل فيما نحسب الا بالطريقة الفاضلية

ان اربعة القرون التي بين ابن المقفع والقاضي الفاضل ليست بالزمن الطويل لا ختمار فكرة واتمام مبدأ فلا عجب اذا كان القاضي الفاضل بطريقته هذه متمما لفن النثر الذي بدأ مع ابن المقفع

نقول فن النثر لان النثر اذا اطلقناه على معناه المتعارف وجعلنا نداء المنادي في الاسواق نثرا والاعلان على صفحات الجرائد نثرا لا نحتاج فيه لابن المقفع ان يبدأ ولا للقاضي الفاضل ان يختم فهو الكلام البسيط الذي نشأ في خلقة البشر للاعراب عن نفوسهم وافكارهم

ولكن اذا اضفنا للشركمة (فن) فقد فهمتم اني انما اقصد نوعا من النثر يميزه ما يميز الفن من روعة الجمال ونفوذ التأثير وامتلاك الاحساس قبل العقل والوجدان قبل

التفكير وهذا الذي كنا نقول ان الادب العربي قبل الدولة العباسية كان عاريا عنه
 واذا اعدنا بعد هذه الكلمة قولنا ان القاضي الفاضل اتم ما بدأه ابن المقفع ربما
 لا تصادمنا هذه الحقيقة كثيرا اذا علمنا ان التطور يكون بين اقصى درجاته وادناها
 فرقا يكاد ينادي على تلك الصلة بالنكران لمن لم يتأمل نسبة كل درجة من الاخرى
 اية نسبة بين رجل اليوم وجده قبل مائة الف سنة ؟ هذا ما يجابهنا لاول وهامة
 اذا نظرنا الصحيفة الاولى من تاريخ الانسانية ثم طوينا الكتاب على غر وقرأنا الصحيفة
 الاخيرة . فاذا تصفحناه ورقة ورقة كان التطور بسيطا باديا
 كذلك نذكر الصلة بين ابن المقفع والقاضي الفاضل فاذا فتشنا عن الصلة بين ابن
 المقفع والجاحظ ثم بين الجاحظ وابن العميد ثم بين ابن العميد والقاضي الفاضل لم نجد
 تلك الطفرة الموهلة التي توقعناها في الانتقال من ابن المقفع للقاضي الفاضل
 (على ماذا كانت تدور الطريقة الفاضلية)

قد عرفنا من كلام المؤرخين ان القاضي الفاضل هو امام صناعة الترسل فما هو
 الترسل المراد هنا
 الترسل عند اهل الانشاء هو بلوغ الكلام غية اللطافة والتحسين ومراعاة جميع
 ما يحيط بالكاتب من مقتضى الحال ودفعه عن كلامه كل نقص او توهم تنصير
 هذه الميزة العظيمة التي كانت لطريقة القاضي الفاضل من جهة الفاظه
 اما في معانيه فقد كانت مبرزة طريقته الاغراق في الخيال لحد البعد عن الواقع والعمل
 على بث الخيال في كل جملة ونقرة حتى تكون ذات خيال رائع قائمة بنفسها اذا قطع
 النظر عن الخيال العام الساري في المنشأة كاملة .
 واذا اردنا ان نظهر تميز الطريقة الفاضلية بهذا لم يكن لنا الا موازنتها بالطرق
 السابقة لها

كان آخر عهد الادب العربي يوم نشأ القاضي الفاضل يبطل المقامات والبديع
 الحريري والحريري في طريقته ليس بالمبتدع بل كان سايرا على منهج الاستاذ ابن العميد
 متغاليا في مبداه فاذا اخذنا الحريري مثالا لطريقة ابن العميد فقد اخذنا اقربهم من

القاضي الفاضل عصرا وذوقا في الانشاء ليظهر تأثير القاضي الفاضل في استحداث الطريقة الجديدة

كان الحريري صاحب خيال ويكفي من ذلك مقاماته الخمسون التي كانت كلها خيالا ولكن هل كانت جمل الحريري تعدوان تكون جملا بسيطة في التصوير لا يزيدها الا رونقة اللفظ ومزينات البديع

لم يكن في انشاء الحريري خيال عميق غير الخيال الاصلي الذي تقوم عليه المقامة اما هذا النوع من الخيال المختلف الذي تجده سائرا مع الموضوع باديا في جملة وفقراته لا تكاد تقوم ككلمة من الرسالة الا على تخيل او تشبيه فهو الذي يميز معاني الطريقة الفاضلية

انظروا للحريري في ابلغ اوصافه وقد وصف السفينة فقال في المقامة الفراتية « فاختاروا من الجوارى المنشآت جارية حاككة الشيات تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب في الحباب كالخباب » فلم يزد على ان افاد انهم اختاروا سفينة سوداء ووصفها بما هو عادي في السفائن والقاضي الفاضل كنب في وصف قلعة كوكب :

« ووردنا حصن كوكب فاذا هو نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة » فقد وصف بهذا موقع الحصن من الجبال وارتفاعه ومنظره تحت غمام السحاب ومنظره في وقت الاصيل اذا تبدى الهلال وهر من ابداع مظاهر جماله هذه الدقة في الوصف والاغراق في الخيال الذي جعل الاصيل يخضب الحصن الذي هو كالانملة ومنظر الهلال كلقامة التي لم يشملها الخضاب من اهم مميزات الطريقة الفاضلية

ولها في ابلاغ التشبيه الذي تقصد ايصاله طرق تؤدي الى الاغراق فيه فالمعنى الذي يقصد ان يشبه به غيره لا يؤدي على انه مشبه ومشبه به بطريق التشبيه المتعارف ولكن يطوي المشبه وادوات التشبيه ويقوم المشبه به مقامه ثم تقوم التشبيهات اللاحقة له الناشئة عن التشبيه الاول مقام الاوصاف له والتأييد لمعناه

فمعنى تشبيه الهلال الذي يستعذبونه من ابن المعتز

* انظر اليه كزورق من فضة * قد انقلته جمولة من غير *

كان في الطريقة الفاضلية يؤدي بغير هذا الطريق فيجعل زروقاً من فضة حقيقة ثم يتصيد من مقام التشبيه ما يوید هذا كزرقة السماء التي تشبه بها البحر الخضم والسواد الذي في وسطه مثلاً ويؤخذ من مر السحاب مثلاً ما تشبه به الحالة حركة السفينة فيقال وبدا الزورق الفضي ينساب في تلك اللجج مثقلاً بحمولة من الغنير

بهذا فتح باباً عظيماً للاغراق في تخيل المعاني والبعد عن طريقة التشبيه المفرد وفوق ذلك فقد كان لفنون الخيال وضروب البديع مواقعها التي لا تعدوها في الطريقة المتقدمة فتعصر على مقامات الادب والخيال كالمقامات والاخوانيات ويعرى عنها ما عدى ذلك من الانشاءات الرسمية والحكايات

وفي الطريقة الفاضلية نجد مكاتيب القاضي الفاضل الرسمية وابلاغه رغبات الامة للملك غير خارجة عن هذا النوع من البيان

انظر قوله يخاطب صلاح الدين وهو بالشام والقاضي خليفته بهصر يحشه على اتمام سور القاهرة الذي عزم على مداه من القاهرة الى القلعة

« والله يحيى المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ما كان معصمها ليرك بدون سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار والآن قد استقرت خواطر الناس وامنوا به من يد تتخطف من يد مجرم يقدم ولا يتوقف »

ففي هذا اثر عظيم للاغراق في الخيال يجعل السور نطاق السلطان الذي يملك به البلدين ورواقه الممدود عليهما ثم تمثيلة القاهرة بعقيلة لا ينبغي ان تهمل بدون سوار ولا منطقة نضار

هذه اهم مميزات الطريقة الفاضلية من جهة المعنى اما اللفظ وقد كانت ناحية عظمى منه التي تميز الطريقة الفاضلية فقد اعتمدت على اجتماع انواع البديع اللفظي من السجع والجناس

والعناية باللفظ شيء ضروري للنثر الفني لا يختص بطريقة دون اخرى كالعناية باللفظ في الشعر لانا قد قدمنا ان المقصود من النثر الفني هو المقصود من الشعر ولكن

تختلف الطرق في اختيار الوصف الذي يكون في اللفظ جمالا فتختار طائفة اللفظ الجزل القوي دويه في الاذن وتختار اخرى اللفظ الغريب الذي لا يطوف الاسواق ولا يتلقفه كل سمع وتميل اخرى للفظ السهل اللين الذي ليس بالوحشي وليس بالسوقي ولهذه الاختيارات ارتباطات عظيمة مع المعاني التي يقصدها الكتاب وقد قال رينان لا نبالغ اذا قلنا ان الكلمة غير المهذبة ترتبط بالفكرة غير المهذبة ارتباطا دائما

فيغلط الذي يقول ان الطريقة الفاضلية كان من مميزاتها العناية باللفظ فالعناية باللفظ لا تتميز بها طريقة دون اخرى . نعم تتميز الطريقة الفاضلية حقاً بنوع من العناية مخصوص هذا النوع من العناية يظهر في مظاهر من البديع نرى ان نجوعها تحت كلمة المزاجية Monotonie وهي الميل لمشابهة عناصر الفن والبعد به عن التنافر فاكتتاب الذين اتبعوا هذه الطريقة كانوا يعنون في كتابتهم بالمزاجية . والمزاجية لها آثارها التي منها السجع ومنها الجناس ومنها الترصيع الذي هو اجلي مظاهرها وهو تناسب فقرات السجع وتشابه فواصله كما يقول القاضي الفاضل في كتابه المشهور على لسان خطيب عذاب « ورجب في خطابة الكرك وهو خطيب وتلمس بالملوك في هذا الملمس وهو قريب »

هذا النوع من التحسين بالمزاجية هو الذي كان يفرض فيه القاضي الفاضل واتباعه فميزوا عن الطرق المخالفة

مؤثرات هذه الطريقة

نشأ القاضي الفاضل في وسط بذخة ورفاهة وتسلسل من عراقة البذخة والرفاهة فلا جرم ان يكون لهذا تأثير عظيم على ذوقه في الميل لتحسين الكلام وترقيقه والمبالغة في ذلك للحد الذي راينا

اما الاصل العظيم الذي صقل جميع هذه المؤثرات وظهرها في مظاهرها فهو العصر الذي تلاقى فيه ففاض بها ادب القاضي الفاضل والقرن السادس هو القرن الذي بلغ فيه ذوق القرون الوسطى اشده ومن اهم ما

كان يميز ذوق تلك العصور ميلها للتناسب في الجمال والتشابه بين عناصره ففیه نجد القول بان الجمال الانساني هو تناسب الاعضاء ومن آثاره في النحت الخطوط المتواز به وترصيعها وتركيبها وفي الموسيقى الاصوات المتلاقية مقاطعها ونجدهم ميالين لمقابلة الشيء بمثله في تنظيم منازلهم وتنسيق رياضها. هذا ذوق القرون الوسطى عموما اما في الشرق فقد عرفتم ان هذه الفكرة كانت اشد اثرا واقتوى خطيرا لما في النفس الشرقية بطبيعتها من ذلك

كما تأثرت هذه الطريقة ايضا بالطرق المتقدمة فقد مر بنا ان الترسل هو الاحاطة بجميع ما بحسن ان يكون في الجملة لا قصر النظر عن ناحية من نواحي تأثيرها فكان ضروريا لهذه الطريقة ان تعتمد على مختلف انواع التحسين التي بدأت بها الطرق المتقدمة لذلك نجد ابن المقفع بسهرلته وتناسب كلماته والجاحظ بسجعته وفقراته وابن العميد بخياله وبديعه معروضة في انشاء القاضي الفاضل بجانب المميزات الخاصة والطابع الذي طبع به ادبه

اليس بهذا الائتام قد اكتملت اطوار النشر وبلغ اشده ؟ اليس ما نقص ابن المقفع من سحر الخيال وادركه من سهولة الالفاظ جمعه القاضي الفاضل في انشاءه ؟ ولكن تطورا كهذا كان من حقه ان يدخل على التراكيب اللغوية ومادة اللغة بعض التغيير او التصحيف ولكن اثر آخر اثر في ادب القاضي الفاضل عصمه من هذا هو شدة ممارسته للادب القديم والتراكيب العربية الصحيحة لا ليحوك على منوالها نسجه الادبي ولكن لتكون اساس طريقته في التعبير العربي الخاص وبهذا يمكن ان يحدث هذا التطور العظيم في الشر الفني العربي واللغة سالمة لا يزيد بها ذلك الاثباتا ولا يقرب بها الا للقوة ونفاذ الاثر

فلا تنقاد الذي يتناول به الناس طريقة القاضي الفاضل من ان الانشاء في عصره اصبح عبارة عن زخرف من البديع على هيكل بال من الخيال الضئيل والتراكيب السقيمة لا يتناول القاضي الفاضل ولكن من نحى نحوه وليس له قوته في الخيال ومكانته في اللغة

بعد هذه العوامل ولا سيما عامل العصر لا نعجب اذا راينا هذه الطريقة دامت

من القرن السادس الى اواخر القرن الثالث عشر بينما غيرها من الطرق لا تلبث اكثر من قرن او قرن ونصف

فما السبب في ذلك الابقاء حالة ذلك العصر بنفسه على الشرق الى النهضة الحديثة التي احدثت في الافكار والميول انقلابا تبعه انقلاب ادبي قضى به على الطريقة الفاضلية الا انفسا ضئيلة لا تزال ترددها نلمس اثرها في اقلام بعض المحافظين لعصرنا الحاضر

السياسة

سادتي

لم يكن دور القاضي الفاضل في السياسة يقل عن درجته الادبية فقد كان رحمه الله بطل الدولة الايوبية واذا ذكرنا الدولة الايوبية ذكرنا حادثتين من اعظم حوادث التاريخ الاسلامي

(١) سقوط الدولة الفاطمية

(٢) اتيككك الارض المقدسة من ايدي الصليبيين

والمصادر التاريخية كلها شاهدة بما للقاضي الفاضل من الاثر في هاتين الحادثتين فما هي منزلة القاضي الفاضل من الدولة الايوبية التي سمحت له بهذا التأثير العظيم ؟ كان القاضي الفاضل يقوم من السلطان صلاح الدين مقام الوزير الصفي المساعد على تدبير امر الامة وكان اول مقصد للسلطان صلاح الدين بعد تملك مصر القضاء على الدولة الفاطمية ومد سلطنة الخلافة العباسية عليهما والدولة الفاطمية معلومة مبادئها ومعلوم انصارها فهي دولة غاشمة ظالمة تسلطت على النسب الزكي كذبها كانت تقوم على تايد القرامطة والجمعيات السرية الباطنية الكائنة للاسلام اما في آخرها ايام الظاهر والحافظ والعاضد فقد كانت خلافتهم لعبة بايدي وزرائهم المفسدين ككشاور

ولم يكن مقصد صلاح الدين يقف عند هذا الحد من القضاء على الدولة الفاطمية وارجاع الخلافة لبيت بني هاشم الجليل الاصيل بل كان يجعل هذا وسيلة لاحداث وحدة اسلامية قوية تقف في وجه الخطر الداهم الذي يتهدد الاسلام من هجمات الصليبيين بعد وحدة اربوا التي نفخت فيها روح الحماس الديني دعوة البابا غريغوريوس

هذه الوحدة الادبية التي كان يرمي لها صلاح الدين ومقصدها السامي كانت وسيلتها ايضا سامية طيبة فالقضاء على الدولة الفاطمية كان حسنا في ذاته معيدا لمجد مصر على يد الدولة الايوبية الناهضة

كانت هذه الفكرة تقع موقع القبول من نفس القاضي الفاضل وحبه لمصلحة الدين مع ادراكه الخطر يقضي عليه ان يسعى جهده لاتمامها

وكانت معرفته بصلاح الدين صدفة فقد اختير كاتبها لعمه اسد الدين اولا ثم لما ولي صلاح الدين الوزارة خلفا عن عمه كان اتصال الفاضل به ضروريا فهذه الصلة المتمكنة والوداد الذي نشأ بينهما بعد ذلك لم ينشأ الا عن توافق في المقصد الطيب واخلاص رآه منه صلاح الدين للبعدا

وهنا نلاحظ الطرق التي اتخذها صلاح الدين للقضاء على الدولة الفاطمية بعد التردد في قبول وزارتها فقد كان الواجب يفرض عليه نزع الساطنة العبيدية بكل طريق ممكن وسوء مقاصد انصار الدولة يؤكد هذا ولكن الخافضة الشاب المنكود الحظ ام يكن يظمر لصالح الدين شرا وائتمنه على ملكه باسناد الوزارة اليه فكان حسن العهد يقضي بان يجامله وان يخفف وطأة القضاء عليه ما امكن

فانتم ترون - سادتي - ان الموقف كان حرجا بين الواجب وحسن الوفاء وكان صلاح الدين يؤثر ان تكون جميع طرقه لاتمام ذلك الواجب شريفة

والقاضي الفاضل كان يحث صلاح الدين على هذا ايضا فهو لا يضمم الشر للدولة الفاطمية التي نشأ في حماها وانصار الدولة قد اقلماوا الدليل على وثوقهم به بتعيينه كاتبها لاسد الدين ولكن ادراكه الخير في خلاف ذلك حتم عليه عداء الدولة الفاطمية هذا الاحساس الذي كان يتوافق فيه صلاح الدين والقاضي الفاضل وجعل موقفهما حرجا ولكن للقاضي الفاضل وحده يرجع الفضل في حل المشكل لما يرضي الواجبين فهو الذي كان واقفا على احساس الفكر العام المصري نحو الدولة الفاطمية وعلى حالة الخليفة في صمته وفكره وعلى دسائس حاشيته ومكائدها

كان مما يهول صلاح الدين في اول امرة التفتاف الامة حول العرش الفاطمي ولكن القاضي الفاضل كان يعلم حقيقة ذلك وان الامة لا ترغب في زوال الخلافة ولا تنزعج من زوالها فرضا عن ان تقوم مدافعة عنها

ولكنه اراد ان تكون الامة قبل ذلك واثقة من حسن مقصد صلاح الدين
فترض حتى راي ان صلاح الدين قد حبيب للامة ثم ارتسأى ان ييدا اعلان خلع
الخلافة الفاطمية للامة قبل ان يبايع قصر العاضد فيكمدة والقاضي الفاضل كان كما قلنا
واثقا من ان الامة لا تهترلفقد تلك الخلافة الميتة التي تتلاعب بها بطانة السوء وكأنه
اراد سبر الاحساس وايقاف صلاح الدين الذي كان مغترا بظاهر على حقيقة الامر فامر
بقطع الخطابة للعاضد باحد مساجد القاهرة وابدالها باسم الخليفة العباسي فوقع ذلك ولم
يحرك من احساس الامة ساكنا

هنالك اعلن رسميا خلع السلطنة الفاطمية وكتب بذلك الى بغداد عاصمة الخلافة
فازينت واقامت بها الافراح وورد كتاب الخلافة على صلاح الدين يلقيه بالملك الناصر
واحتاط كثيرا في ان لا يبايع هذا الخبر العاضد وهو في حالة سيئة من المرض فابقوا
به قصره واجروا له مصاريفه كالعادة الى ان توفي وهو لا يعلم ما وقع ومشى صلاح
الدين في جنازته آسفا باكيا مشقوق الجيب

ولا يستطيع احد ان يوفق بين احساسه واجبه الذي اؤتمن عليه اكثر مما
فعله صلاح الدين ولا يستطيع احد ان يسلك طريقا لذلك اقوم من التي سلكها
باشارة القاضي الفاضل

تم المقصد الاول والامر قد قرب وهجمات الصليبيين متتالية على الشام ومصر
وكانت بالشام دولة نور الدين بن عماد الدين الاتابكي سيد صلاح الدين والذي وجه
جيش فتح مصر تحت قيادة عمه التي خلفه فيها فشر صلاح الدين بالاتفاق مع نور
الدين لممانعة الهجمات الصليبية فكان صلاح الدين يتولى العمل في ما يلي مصر الشوبك
والكرك والنوبة وثغور الاسكندرية ونور الدين في مملكته بالشام وكان صلاح الدين
يقود جيوش الغزو بنفسه وههنا تنجلي لنا الثقة العظيمة التي كانت له في القاضي الفاضل
وكان يرحل عن مصر للجهاد ويتركه الحاكم المطلق فيها المتصرف تصرفه كاملا
وتلك نهاية الثقة به وبفضله وصحة مسداده

ثم اعترضت صلاح الدين عارضة اخرى جعلته في مثل موقفه في محاولة القضاء
على الخلافة الفاطمية ذلك ان سيدة نور الدين توفي وامر الجهاد لا يزال مرتبكا وخلفه

ولده ولم يكن في سيرة متوخيا خطط ابيه فقام ذلك حجر اعتراض في تميم مراد
صلاح الدين

فبدا التلاعب والاستخفاف بامانة الامة يتملكان الدولة السورية وراى صلاح
الدين ان خير المسلمين لا يرجى ابدا من بقاء تلك الحالة وانه يجب عليه ان يوفى
بعهد البيت الذي غرسه ومكن له سلطانه العظيم فكتب الى ابن نور الدين يحاوله
على سلوك الجادة واطراح تلك الالاعيب فلم يكن جوابهم الا بالتبجح بانهم الذين
انشؤوه ومكنوا سلطانه ثم جاء اليوم يحاول القضاء على بيتهم فعزم صلاح الدين على
تلافي الامر بفك السلطة من ايديهم وكتب لهم القاضي الفاضل على لسانه كتابا بديعا
ينذرهم فيه بالخطر ويعلمهم ان الوفاء لهم انما يكون بعد الوفاء بحق الاسلام

ثم لما تم لصلاح الدين الاستيلاء على الشام زاد عن مصر انقطاعا فزاد القاضي الفاضل
فيها اتساعا قال المقدسي في كتاب الروضتين في اخبار الدولتين « وفي هذه الاثناء
كان القاضي الفاضل بالديار المصرية يرتب للسلطان امورة من تجهيز العساكر وتعمير
الاسطول وحمل المال ونقل المير والسلطان يكانبه في مهماته وترجع اجوبته باحسن
عباراته مشيرا وناصحا رسلها وباحثا عن مصالح الاسلام مستقصيا »

هذه قيمة العمل العظيم الذي كان يقوم به القاضي الفاضل في الحروب الصليبية
فقد كان متولي امر مصر القائم على حفظ الامن والنظام فيها حتى يكون صلاح الدين
في امن من جهتها متفرغا للقتال وكان يجهز الجيوش ويبعث بالمير ويواصل مكاتبة
بالنصح والتسلياة والاشارة

وهذا العمل العظيم نلاحظ له اثرين في انتصار المسلمين بالحروب الصليبية
الاثر الاول - انتصارهم الادبي وسمعتهم الطيبة وفضيلة نفوسهم التي عرفها منهم
اعدائهم فقد كان ذلك راجعا لما راوا منهم في الحرب من الجهاد بطرقه المشروعة دون
غدر او توحش . ثانيا - ثقة الامة بالحكومة بموقف القاضي الفاضل واسطة بينهما
الذي نشأ عنه ادراك المسلمين انهم انما يقسماتلون لانفسهم ففعلوا في الدفاع وبذلك تم
الفتح الثاني وجدد صلاح الدين عز الاسلام مرة ثانية بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اخلاقه

كان الرجل على جانب من طيب السريرة والاخلاص في القول والعمل عظيم حبيبه لكل من عرفه فقد مرت بنا اطوار القاضي الفاضل وهي عديدة كان مقربا في وزارة ابي رزيك لم يعرفوه هم واشياهم الا بالخير ثم جاء عدوهم شاور فقدمه على كتاب ديوانه عند انفصال ابن الخلال ليخلفه في رئاسة الديوان ثم اسد الدين فكان كاتبه الخاص ومستشاره ثم صلاح الدين فكان شريكه في سياسة ملكه ثم ابناؤه فكان والدهم النصوح ووزيرهم

عرف الناس منه خلقه الطيب فلم يمر احد في اخلاصه وانه امين على ما عهد به اليه ولكن بعض السفلة والحساد كانت تتناول اغراضهم للنوال منه واذايته وغير بعيد ما سعى به كتاب ديوان الانشاء لدى الظاهر ثم ما يحكيه المقدسي من ان اختياره كتابا لاسد الدين كان القصد منه اذايته فقد ظنوا ان اسد الدين لا يلبث ان يقتل ويقتل هو معه ولكن القاضي الفاضل تمكن بفضل ذلك من الحكومة اي تمكن فكان من ابسط البسيط ان يعاقب هؤلاء ويجازيهم شر الجزاء بابعادهم عن الديوان في الاقل

ولكنه كان رجلا متعاليا عن الاعراض استعان بهم واعتمدهم لما رأى فيهم كفاية لذلك غير حاسب لما تقدم من عملهم حسابا فكان ذلك ادعى لتطهير نفوسهم من ظفائنها واقطع لحجتهم في الغرض من فضله حتى وصل بعمله ذلك وطيب خلقه وكرمه خلاله الى السمعة التي رايناها من اجماع الناس على فضله وقد مرت بنا صور من وفائه الناصر للدولة الفاطمية وشيخه ابن الخلال

ومن صفاته الكرم الحاتمي وحب المبرات فقد افاد مشاريع عامة هامة كبناء مدرسته للتدريس وسكنى الطلبة وجرايات المدرسين بها ووقف عليها مكتبة تبلغ الالف مجلد وقد مر بنا ذكر المسجد الذي انشاه جوار المشهد الحسيني وكان متواضعا ميالا للعزلة منكشيا يكسر من زيارة المقابر وتشجيع الحسائر لطيف المحاضرة خفيف الروح

مولعا بالكتب وجميع نقائسها حتى حكا ان ولده طاب منه مرة نسخة من

ديوان الحماسة ليقرأها فامر قيم المكتبة فاحضر ما ينيف على الثلاثين نسخة فكان ياخذ الواحدة ويردها ويقول هذه بخط فلان وهذه عليها تعليقات فلان وهذه مزخرفة بالوشى الفلاني وهذه جلدتها من النوع الفلاني الى ان اتى عليها جميعا فقال ما فيها ما يصلح للصغار ودفع ثمن نسخة اعتيادية الى خازن المكتبة ليشتريها لابنه ومن اعظم المشاريع التي قام بها تاسيس مكتب ابتداعي لتعليم القرآن ومبادئ العلوم لا يدخله الا الايتام وتجري على حساب الوقف مؤونتهم وكسوتهم هذه الحسنيات الخالدة والاخلاق الحميدة كانت ناحية ثالثة من نواحي عظمته بل كانت ضمان الناحيتين السابقتين واصل ذيسوع اسمه وخلوده وكذلك حسن الخلق وفضيلة النفس ترفعان المواهب والبراعة لمستوى التقديس والاجلال ولقد مرت بكم - سادتي كلمة الفقيه عمارة اليمنى التي لا يتطرقها احتمال ولا ريب لمن عرف نفس الرجل الذي تعنى عليه شغلا لاثمه الرجوع عن فكرة ايقنت نفسه منها الحق في مؤامرة ضد صلاح الدين سنة ٥٦٩ ولو كان يخادع او يمالق لا نكر ما نسب اليه او كانت له بالقاضي الفاضل صخبة او قرابة لكان ذلك كافيا في العفو عنه ولكن الحق فاض به قلمه والنور الذي لا يكابر شع بصرة كما قال ابن المنير - عصري القاضي الفاضل -

انت الذي خطبت له حسادة * والفضل ما شهدت به الحساد ولدنيا اثر اوضح من هذا هو ان ما كنسنا نتوقعه من ان القاضي الفاضل لولا سبق اجله لا فل نجم عزة بدخول العادل للقاهرة قد كشف التساريخ الصحيح عن عكسه تماما فقد حكوا ان العادل لما دخل القاهرة كان من اول ما فعل ان قصد القرافة فاتبه توا نحو قبر الامام الشافعي ووقف لحظة ثم توجه نحو قبر القاضي الفاضل ووقف ساعة حزينا باكيا

فسقيا لما ضم القبر من نفس زكية وعمل صالح طاطات له رؤوس الملوك الفاتحين

م ف ابن عاشور

﴿ ابن المقفع وديانته ﴾ (١)

محاضرة الاستاذ التاسع السيد عثمان الككاك

ايها السادة الامائل

يا حملة لواء الادب التونسي

ان شخصية ابن المقفع اوسع من ان يحاط بكلياتها في محادثة وحيدة .
وتصانيفه الادبية اعظم من ان تدرس في بحر ساعة او ساعتين من السمر .
واعماله القيمة في تاريخ الثقافة العربية اجل من ان نستوعبها في بعض ورقات
طيارة . فيها الغث وفيها السمين . وغشها اكثر من سميتها .
وما ان اتممت محادثتي الفارطة حتى بان للبعض من جمهم وركم النير نقص في
الدراسة وقع تداركه . لاسيما وله علاقة محكمة الاتصال بمنهاج تفكير صاحب
دراستنا واسلوبه في الكتابة .

ابن المقفع والمعتقد

نعني بذلك ديانته ومعتقداته . واراها في الدين فاحشيت -
لا -

بل رايتني مضطرا الى استئناف العمل . والتنقيب عن هذه الجزئية الكلية من
تاريخ ذلك الرجل العظيم . وارداف المحادثة الاولى بمحادثة ثانية .
بعد ان كنت عزمت على ان لا اتصد له الا من حيث ابتداعه في النشر .
كيف وضع اساسه . وشيد بنايته . وتوج بنيته بفصاحته وبيانه .
ان دراسة ديانة ابن المقفع تستدعي دراسة حياته . ودراسة الديانة التي كان ربما -
ينتمي اليها .

وفيما اذا وقع البرهان على انتمائه اليها وجبت دراسة ماذا كان تأثير تلك الديانة على
تأليفه وتصانيفه

ولد عبد الله بن المقفع في مدينة خوز . عاصمة بلاد فارسستان . وبلاد فارسستان
او فارس بعينها .

قسم من ايران واقع في الجنوب الشرقي من الولاية الفارسية . على قاب قوسين من
الهند . في جهة

ومتصل بالعراق العربي . في جهة اخرى
ومتوغل في تراب فارس الاصلية . في جهة ثالثة .

فاهله بطبيعة الحال . لهم ثقافات ثلاث .

فمن قارب الهند تهند او كاد

ومن حاد عربستان تعرب او قرب .

وكلاهما فارسي بطبيعته وعنصره .

وكون ابن المقفع ولد في هذه المدينة . ونشا بها . يفسر لنا اشياء كثيرة من تاريخ
حياته نستطيع ان نعللها باقامته في تلك الناحية .

فقربه من الهند ممكنه من الحكمة الهندية وقربه من بلاد العرب ممكنه من
الفصاحة العربية ومولده بام بلاد فارس تركه فارسيا صميما وابوه فارسي من خوز اسمه
دادويه . ومعناه صاحب العطايا .

وانما لقب بالمقفع - ومعناه صاحب الاصابع المقطوعة الممزقة لانه كان عاملا
للحجاج بن يوسف . فضر به بالبصرة في مال احتجته من مال السلطان فتفقت اصابعه .
ودادويه هذا كان ماجوسيا منتحلا ديانة الفرس القدماء وكان متوليا جباية فارس
في عهد عبد الملك بن مروان الاموي .

فاثرى اثراء كثيرا . واقام على الرخاء والسعة .

ثم انه انتقل من خوز - وعبد الله بن المقفع لم يزل صغيرا . فانتصب بالعراق .
معدقا على ولده اغدقا .

معتنيا بان يعلمه تعليما صحيحا . ويثقفه ثقافة جامعة لدراسات ذلك العصر .

فاخذ عبد الله من الفارسية اصولها واركانها . وهي لغته الامومية . واتقن العربية
نقرا وشعرا . وهي لسانه الثاني الذي نشا في بلاده وبين اهله .

وتعلم اليونانية تعالما دقيقا سمح له بالتعريب عنها . كل ذلك وابوه يمكنه من كل مساعدة حتى اتم دراستها بتمامها وكالها
واما ديانته فقد كان على ديانة ابيه
ثم اسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور اسلاما مشكوكا فيه عند البعض
وموثوقا به عند آخرين
فما ذا كانت ديانة ابيه ؟
وديانة ابي عبد الله هي المجوسية
وهي نعت مبهم ينعت به العرب صنوفا من الديانات غير السماوية الكتابية
ولذلك احببنا ان نضبط ما ذا كانت ماجوسية عبد الله بن المقفع

* * *

بلاد ايران مملكة واسعة الاطراف كان على راسها قبل الاسلام دولة بني ساسان
اسسها اردشير الاول في القرن الثاني بعد المسيح
وانتهت بيزجرد الثالث عند ما فتح العرب فارس بعد ذلك باربعة قرون .
والفرس القدماء يدينون بمذهب نبي لهم يعرف بزردشت
وحياة زردشت هذا نسيج من الاساطير والخرافات ليس فيها ظل من الحقيقة .
اسمه بلغة الفرس القدماء زرتوشترة اي صاحب الجمال الذهبية - كان يعيش في
عصر غير موقت بالضبط بين القرن السابع والسادس قبل المسيح عليه السلام .
ولد باذريجان من ناحية الفرس وقام بدعوته في نحو الثلاثين من عمره . فوجد
اعراضا من اناس ووجد اقبالا من اخرين - شان كل الدعاة والرسول . الى ان وجد
مناصرة من الملك فيشاسية .
فاقبل على حرب اعدائه وتأييد دعوته بحد السيف الى ان لا قاله اجله المحتوم في
بعض غزواته .

هذه هي الصورة المصغرة من حياة زردشت صاحب ديانة الفرس القدماء . وباني
اساس الماجوسية التي نحن بصدد دراستها
وقد الف زردشت كتابا كان قانونا لاتباعه فيه بيان مذهبهم - وقوام معتقدهم
ولمحة سيرتهم وبرنامج حياتهم وصورة ما بهم عند المعاد

ذلك هو كتاب الزند افيستا . الذي عثر عليه اخيرا . وقعت ترجمته الى عدة لغات اوروبية وشرقية . واما لحة ديانتة . فهي من مصدر هندي واضح العنصر وقد قال زردشت عن نفسه انه جاء هاديا ومسترشدا ومقوما مصاحبا لما كان قبله من عنصر ذلك الدين الهندي وتعليم ذلك الدين . قائم على وجود عنصرين احدهما النور وثنائهما الظلام - احدهما الخير - وثنائهما الشر . وكلاهما في نزاع قائم مستمر وتقاوم اذلي ابدي فيه نصر وخيبة بالتبادل والخلفة طورا فطورا والعالم كله مقسوم الى قسمين فاصل بينهما هو عظمة عميقة القعر . وفي كل شق عن طغيتهما يمينا وشمالا تقوم انصار النور وانصار الظلام انصار الخير وانصار الشر . في هيجاء لا رحمة فيها ولا شفقة . لا تعروها هدنة ولا مساحة . فصاحب عنصر الخير والنور . هو الاله اورمازد .

وصاحب عنصر الشر والظلام هو الاله اهرمان . وعند النهاية سوف يكون الفوز حليف اورمازد وينتصر الحق على الباطل . ان الباطل كان زهوقا . وانصار كل من الالهين جيشان . احدهما جيش السماء . وثنائهما جيش النار

* * *

لكمك اذا امعنت النظر وجدت ان هذه الديانة رمزية . تشير الى الحرب المستمرة الدائمة بين الايمان وفطرة الخير والزيغ ووساوس الشيطان . حتى انها ماليت الى الوحدانية في اخر الامر . وجعلت الالهة الالهة واحدا فوق اورمازد واهرمان هو الدهر الذي لا بداية له ولا نهاية لديه

* * *

على ان هذه الديانة قد اعتراها التفرق كما اعترى سائر الديانات . وذهب فيها الناس مذاهب وشيعا لا يحصونها منها المذهبان مذهب مانبي . ومذهب مزدك

وهذان المذهبان لا يكادان يفترقان الا في الشيء القليل من حيث جوهر العقيدة وقد شاع هذان المذهبان في القرن الثاني للهجرة شيوعا كبيرا .

على انك ستري ان مذهب مانى او المانوية لا يختفى الا اختفاء ضعيفا عند ظهور الاسلام . وسيكون له تاثيره الاعظم على نفس العقيدة .

في الحقيقة ان مذهب مانى . نظرة فلسفية يصدق انطباقها على كل دين . وليست هي ديناً في ذاتها .

وقد ذكر مانى عن نفسه انه ولد في قرية مردينو من بلاد بابل في العراق سنة ٢١٥ بعد الميلاد . وان الوحي نزل عليه في الثالث عشر من عمرة . وجدده له ثانية في الخامسة والعشرين

والبلاذ التي نشأ فيها موطن فيه عناصر مختلفة وديانات متباينة فيه الصابئة المغتسلة من النصارى .

ومنهما القينية والنيكولاوية وغيرها

وكلهما مذاهب اثناوية تقول بعنصر النور وعندر الظلام على اختلاف المقاصد والافهام . وقد نشأ مانى على مذهب الصابئة من النصارى متعبداً متمسكاً لا ياكل لحماً ولا يتناول خمر الى ان اوحى عليه . في زعمه . الملك التسوام ما اوحى . فصار يزعم ان الظلام ابدى لا اولية له . وان العناصر الاربعة من الهواء والتراب والنار والماء لها طبيعتان طيبة وخبيثة وانه لا يرى فرقاً كلياً الا بين النور والظلام وانه البرقليت الداعي بعد عيسى الى الحق والهدى الاعظم .

وقد الف لهذه الغايات كتباً كثيرة . بجانب وافر منها في اللغة الفهلوية . وضع فيها تعاليمه

مبيناً ان العالم عنصران نور وظلام . وان الله صاحب النور وان الشيطان رب الظلام وان كل خير من الله وكل شر فمن عند الوسواس الخناس وان الاثناوية توجد في الانسان عينه

فله روحان . روح طيبة تتجلى في فكرة واحساسه وعقله النير وروح خبيثة تتجلى في فكرة واحساسه وعقله الاظلم . فالروح الاولى تحدث الرحمة والنية الحسنة والصبر والحكمة . والثانية تورث الشحشاء والبغضاء والتزعم والغضب والحق

وينبغي لمن مذهب بمذهبه ان يحتجب اكل اللحم وشرب المسكرات وقتل الحيوان مطلقا والنبات مطلقا . وان يحذر مجاوررة النساء والخلود الى لذتهن . وان يتحاشى الاشراك دون الغنصرين والكذب والبخل وازهاق الارواح البشرية وار تكالب الزناء

انتشرت هذه التعاليم بغاية السرعة في الاقاليم . فذاعت تأليف مانبي في بلاد بابل ومن هناك سرت الى الشام وفلسطين وبلاد غسان من جزيرة العرب . ثم انتقلت الى مصر . فتمسك بها الانباط . واخذها الرهبان وعلموها للعامّة والسواد من الشعب ثم ان تلك التعاليم التحقت بشمال افريقيا . في آخر عهد الدولة الرومانية . وانقسم النصرانية الى مذاهب مختلفة .

فصارت قرطاجنة معهد المانوية .

حتى تمسك بها سان اغسطان عظيم النصرانية . ثم رفتهما . والف رسالة في بطلانها رادا بها على رسالة الفها الكاتب المغربي فوست المبلي

ومن قرطاجنة ذاعت المانوية في سائر الاقطار المغربية والبلاد الرومانية

هذا هو المذهب المانوي

واما المذهب الثاني فهو مذهب مزدك

ولد مزدك بن بامداد في نيسابور من بلاد خراسان ونشا على مذهب مانبي . واجدا في شخصية كابن نصيرا له ومعينا .

ثم انه تصرف في ذلك المذهب . مبتدعا فيه عناصر اجتماعية كانت غير موجودة فيه واقترق عن مانبي مقرا بوجود عنصرين من نور وظلام .

زاعما ان النور يفعل بمحض مشيئته الخاصة له احساس وعلم وادراك

وان الظلام عامل على العمياء خابط خبط عشواء في دهماء . سائر بجهله وعماء

وان ديدنه الصدفة لا برنامج له مضمحل العمل .

وان العالم من الماء والنار والتراب . وان من اختلاطهما يتولد كل كائن . وان النور

متولد من طيبات الماء والنار والتراب . وان الظلام متولد من خبائثها .

ونظر مزدك الى العالم فوجد الحقد والحرب ناتجان من النساء والمال
فمقاومة البغضاء والحرب في اباحة النساء وشيوعية الاملاك . كشيوعية الماء والنار
والريح .

ومن هناك تخلص الى المذهب الاباحي من جهة والمذهب الشيوعي من جهة اخرى .
وقد انتشرت هذه التعاليم غاية الانتشار في بلاد الاكسرة وتشمع الناس بروحها .
واحدثت فوضى اجتماعية واسعة النطاق كادت ان تتلف عرش بني ساسان .
وتحدث الفتن الداخلية التي لا تحمد عقباها
ولمزدك تاليف وضع فيه تعاليمه وشرح فيه افكاره . وجوله كتابا دستور المن
يتمذهب بمذهبه

* * *

انتشرت التعاليم المائوية المزدكية بعد الاسلام في الاوساط الاسلامية انتشارا مدهشا
وان شئت قلت ان الاسلام لم يقتل هذه الجرائم الفاسدة قتلا تاما . وما عمل الا
ان مسحها ونفخ في صورتها من روحه الكريمة ومر عليها مرا
فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك . ظهر دعي يسمى زاهد رمز . والتحق به
الحجاج بن يوسف - فيما يزعمون - واسسا فرقة جديدة اخذت على عاتقها ان تتبع
مذهب مانبي . وعاشت هذه الفرقة ما عاشت
وظهر فيها امثال ابن مكلس ويوزر مهر وابو علي سعيد ونصر بن هرمز السمرقندي
وابو الحسن الدمشقي وامثالهم
وراجت هذه التعاليم روجانا كبيرا . خصوصا وان المسلمين - او من انتحلوا الاسلام
قد اعتنوا بنقلها الى اللسان العربي .

فبدا التعريب على عهد المهدي

قال السعودي في مروح الذهب : « وعلى عهده ظهرت الفرق في الاسلام وانتشرت
بعد ترجمة تصانيف مانبي وبردسان التي نقلها من الفهوليصة او الفارسية عبد الله بن
المقفع وغيره

وفي ذلك الوقت ظهرت كتب ابن ابي الاربع وحماة عجرد ويحيى بن زياد

ومطيع بن اياس . وظهرت الزندقة وراجت رواجاً كبيراً
 وذكر ابن النديم في كتابه الفهرست : « ان من زعماء مذهب مانى الذين يتعاطون
 الجدل ويتظاهرون بالاسلام . ابن طالوت وابن شاكر وصالح بن عبد القدر .
 وكل هؤلاء قد القوا الكتب للدفاع عن راي العنصرين عنصر النور وعنصر الظلام
 ومن الشعراء بشار بن برد واسحق بن خلف وسلم الخمار وابو عيسى الوراق وابو
 العباس اناشي وغيرهم

ايها السادة

قد رايتم ما ذا كان مذهب مانى
 ورايتم كيف اتصلت تعاليمه بالمسالمين وراجت عند البعض منهم .
 فلننظر الآن ما ذا كان نصيب ابن المقفع منها
 قد رايناها ماجوسيا مانويا .
 معتقنا ديانة زردشت وذهب مذهب مانى ومزدك .
 وقيل لنا انه اعتنق بعد ذلك الاسلام .
 وادعى قوم انه تظاهر بالاسلام خسب
 وذهب آخرون الى انه اسلم قلباً وقالبا .

الوسط الذي ولد فيه عبد الله بن المقفع . مهد الديانة الزردوشية وعهد المذهب المانوي .
 والوسط الذي انتقل اليه . ونعنى به العراق . هو عين بلاد بابل القديمة التي ولد
 فيها مانى . ونشر فيها تعاليمه

والبيئة التي احاطت به من الكتاب والشعراء هي بيئة مانوية
 وذلك ان المانويين انتقلوا من فارس عندما اضطرهم بهرام وقصدوا خراسان
 وانصلوا بالعراق وجعلوا قاعدة دينهم مدينة بابل . وكونوا هناك بيئة ساعدها على الانتشار
 والتنامى سكوت ولالة الامويين عنها ومناصرة البرامكة من وزراء بني العباس لهم
 فتسهي هؤلاء الجماعة بالزندقة

نسبة الى الزنادقته وهي كتاب ردت الذي وضعه . وظهر من هؤلاء الزنادقة الكتاب والشعراء والمفكرون الكبار .

فما عبد الله بن المقفع في هذا الوسط الممتاز

فيتضح من هذا ان الوسط يؤيد لنا ان ابن المقفع كان ماجوسيا مانويا . وانه كان في اتصال فكري مع سائر الكتاب الزنادقة والشعراء

لكن من روى لنا خبر ماجوسيته . رجلان قد عاصراه
اولهما ابن النديم الوراق .

كان صاحبنا هذا ورافا يبيع الكتب . وينظر في الكتب ويلتمس تراجم اصحابها
ويجالس العلماء والادباء الذين يزورونه دائما
فاجتمعت له من ذلك مادة وافرة . افرغها في كتابه الفهرست .

وفي كتابه الفهرست ذكر لنا خبر عبد الله بن المقفع وهو معاصره . متصل باخباره .
ناظر في كتبه

وقال لنا انه كان يعتنى بكتب المانوية . وقد نقل الى العربية منها **كتبا** . خص
بالذكر منها كتاب ديانة مزدك
وثاني الرجلين الجاحظ

وهو معاصره ايضا . و آخذ عن طريقته الكتابية . وناسج على اسلوبه الشرطي .
قال ابن خلكان : نقلا عن الجاحظ

« ان ابن المقفع ومطيع ابن اياس ويحيى بن زياد كانوا متهمين في دينهم »
وكان الجاحظ لا يقر لابن المقفع في فضل الا من حيث البلاغة والبيان . والامر واضح
لان الجاحظ نشأ يفكر على مذاهب اليونان . وتدرّب على الاعتزال .
ونشأ ابن المقفع يفكر على اسلوب الفرس . وتدرّب على فكرة الاشناوية
فالجاحظ حقيق بان يطعن في قيمة ابن المقفع من حيث دينه وعارضته في التفكير
قال في البيان :

ومن المتعلمين ثم من الباغاء المتأدين عبد الله ابن المقفع ... وكان مقدما في بلاغة

اللسان والقلم واختراع المعاني وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا ... وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا ... واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بان تنظر في آخر رسالته الهاشمية فانك تجد جديدا الحكاية لدعوى القوم ردى المدخل في مواضع الطعن عليهم »

على ان حجة الجاحظ تثبت لنا ان ابن المقفع كان من اصحاب الكلام ولا تثبت بالقطع انه كان ماجوسيا

وهذا وكلام ابن النديم لا يثبتان الا ان الرجل كان متشعبا بافكار المانويين من حيث تفكيرهم ونظيرهم الخلقى . لا انه مقر بالعنصر عابد للنار .

واما بقية الكتاب في كلامهم شئنة غير معتمدة . لانهم يعيدون عن عصره . مخالفون لمذهبه .

بقي علينا ان نستشير تأليف ابن المقفع . واولها تأليفه المانوية

فقد ذكر لنا ابن النديم انه نقل غير كتاب من كتب مانوي

وذكر ان اهمها كتاب مزدك

وعلمنا عن كتاب مزدك ليس الا يسير لان الكتاب قد ضاع . ولم يبق الا شهادة

ابن النديم

وبقى ايضا ما نعلمه عن تعاليم مزدك من سائر الكتاب امثال الشهرستاني في

الملل والنحل . والبغدادى في كتابه الفرق بين الفرق وما اتصل بعلمنا عن كتب مانوي

نفسها . فقد وقع العثور عليها اخيرا بأسيا الوسطى . بعضها بلسان الفرس والبعض الآخر

بلسان الاتراك . وما جمعه م . بول مونسو . في كتابه الهام عن اداب اهل تونس

والجزائر على عهد الرومان .

فقد ذكر ان رجلا من اهل ميلة بالجزائر الف كتابا في مذهب مانوي في القرن الرابع

عشر بعد الميلاد .

وان هذا الكتاب رد عليه سان اغسنان ردا جملة بجملة . فامكن ام بول بونصو
ان يجمع شتات ذلك المؤلف . الذي استروحنا منه مذهب مانبي
وقد بسطنا مجمل تلك التعاليم في اول هذه المحادثة ويتضح منها ان مذهب مانبي
له قسمان

فالاول اعتقادي . والثاني خلقي

ولعل ابن المقفع عندما نقل كتاب مزدك . كان يقصد بذلك ان يروج القسم الخلقي
من ذلك الكتاب

لان ابن المقفع رجل قد اعتنى بتهديب الاخلاق والاف الكتب في ذلك
منها كتاب الادب الكبير . وكتاب الادب الصغير . وكتاب كليفة ودمنة
فمقصده . اذا كان هذا - حسن فهو لا يرمي الالترية وليس له من غرض في الاثناوية
او عبادة النار . ومهما يكن من الامر فان ابن النديم لم يزد على ان ذكر ذلك الكتاب .
وذكره لذلك الكتاب ووقوفه عند ذلك لا يفيد ان ابن المقفع كان من شيعة
زردشت مذهباً واعتقاداً .

— ابو الصلت امية بن عبد العزيز —

محاضرة الاستاذ النابغ السيد عثمان الكهاك

ايها السادة الافاضل

سيشرف هذا العبد بمحادثتكم اليوم عن رجل تونسي قام بدور مهم في السياسة
والادب والعلم والفن . ساحتكم عن رجل عاش في ثلاثة اوساط مختلفة لا شبه بينها
السيادة الفتن في جميعها واستيلاء الفوضى على ربوعها الثلاثة . مما كان يكون اثره
الدعة والتفكك والجهل وتولد خلكيات الانانية والرياء والمداينة على كل رجل غير
صاحبنا هذا ابى الصلت امية بن عبد العزيز

ذكرت كتب التراجم - واصحاب التراجم من العرب مولعون بترتيب الاعداد على

تناسب - ان امية قضى عشرين سنة من عمره بالاندلس وعشرين بمصر وعشرين بالمهدية .
 وسترون ان هذه الارقام انما هي افتعالية . وما الحقيقة الا انه عاش في الثلاثة
 الاوساط المذكورة عيشات تتفق في اشياء وتختلف في اشياء .
 فلنتبع سيرة الرجل مرحلة مرحلة ولندرس شخصيته بدرس الاحوال المسكنية
 والزمانية التي نشأ فيها

ولد ابو الصلت امين بن عبد العزيز بمدينة دانية سنة ٤٦٠ هجرية .
 ومدينة دانية عاصمة ناحية من شرق الاندلس واقعة بجنوب شبه جزيرة اسبانيا
 بانحراف نحو المشرق . وهي من اهم مدن ولاية بلنسية . اسسها جماعة من اليونان
 وسميت دانية نسبة للالهة ديانة التي كانت ربة الصيد عند الاقدمين . فاقرب العرب الاسم
 القديم ربما حملوه على معنى الدنو من بر العدو من جهة المغرب او الجزائر الشرقية التي
 سيااتي ذكرها

وقد بلغت هذه المدينة اوج العز واذرى المجد على عهد الاسلام . فبلغت مراتب
 العواصم والمدن القواهر وكان لها في التاريخ .

قال ياقوت الحموي يصفها في كتابه معجم البلدان :

« دانية مدينة بالاندلس من اعمال بلنسية على ظفة البحر شرقا . مرسلها عجيب
 يسمى السمان . ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب واللوز »

وقد وصفها شيخ الجرافيين الاندلسيين الشريف الادريسي وفي هذا الوصف
 تصوير حي يشرح لنا حال هذه المدينة عند ما نشأ بها صاحب الترجمة ابو الصلت امية
 قال الشريف :

« ومدينة دانية على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين . وسورها
 من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة . ولها قصبة منيعة جدا .
 وهي على عماراة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم . وهي مدينة تسافر اليها السفن
 وبها ينشأ اكثرها لانها دار انشاء السفن . ومنها تخرج السفن الى اقصى المشرق ومنها
 يخرج الاسطول للغزو »

وقل في موضع آخر: «وقلعة حصن منيع متصل به اجبل كثيرة بها شجر الصنوبر الكثير. ويقطع بها الخشب ويأقى في الماء ويحمل الى دانية... وذلك انها تسير في النهر... الى حصن قليلة وتفرغ هناك على البحر فتتلا منها المراكب وتحمل الى دانية فتتسأ منها السفن الكبار والمراكب الصغار»

كانت دانية في اول امرها تابعة للخلافة الاموية بمدينة قرطبة تتعاقب عليها الولاة من طرف الخلفاء. الى ان انتشر عقد تلك الدولة واستقل كل جماعة بشاحية من نواحي الاندلس وسادت بها ملوك الطوائف. وكان ذلك سنة ٤٠٣ للهجرة: «وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا الاعمال الواسعة مثل بساديس بن حبوس في غرناطة. والبرزالي في قرونة. واليفرنى في رندة. وخزرون في ثريس. واقترق شمل الجماعة بالاندلس وساد ابن عباد باشيلية. وابن الافطس بيطليوس. وابن ذي النون بطليطلة. وابن ابي عامر بيلنسية. وابن هود بسر قسطه ومجاهد العامري بدانية.

وهذا الملك هو المولى عبد الرحمن بن المنصور ابو الحسن مجاهد العامري. قد اسس دولة بمدينة دانية سنة ٤٠٥ للهجرة. واستتب له الامر. ثم ان الفقيه العالم ابو محمد المعيطي سار اليه من قرطبة ومعه خاق كثير. فقامه مجاهد نظير خليفة له. فقام المعيطي بدانية موازرا ومؤيدا للملكها الجديد. ثم ان مجاهدا العامري اراد ان يفتح الجزائر الشرقية. وهي اربعة جزائر مقابلة لدانية في البحر وهي ميورقة ومينورقة ويابسة وفرمنطورة.

قال الادريسي يصفها: «واما جزيرة يابسة فانها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والاعناب وبها مدينة حسنة صغيرة متحضرة واقرب بر اليها مدينة دانية. وبينهما بحرى. وفي شرق جزيرة يابسة جزيرة ميورقة وبينهما بحرى. وبها مدينة كبيرة لها مالك وحارس ذو رجال وعدد واساحة واموال. ومن الشرق منها ايضا جزيرة منورقة. ومن منورقة الى جزيرة سردانية بحار. فذلك ما اردنا ذكره»

فجهز مجاهد العامري اسطولا بدانية. لا سيمسا وهي كانت دار صناعة وركب البحر مع الفقيه المطيعي وفتح الجزائر الشرقية ونظم بها الادارة فدخلت تحت طاعته

بتمامها . ومن هناك قصد سردانية ففتح بعض جهاتها .

وكان مجاهدا رجلا ذكيا فطنا صاحب حزم وعمل وانجاز ومقدرة على اغتنام الفرص والاستفادة من الظروف . وكان محبا للعلماء مقربا اليهم .

ودامت دولته الى سنة ٤٣٦ . وعندئذ ادركه اجله المحتوم وتوفي بقصره الذي ابتناه ماسوفا عليه

وقام بالملك بعده ولده اقبال الدولة . فسار سيرة ابيه ونهج منهجه في السياسة وكان محبا للوحدة ساعيا فيها . وقد ارسل الرسل لمخابرة ملوك الطوائف في عقد التحالف بينهم . ولم تطل مدته حتى هجم عليه المقتدر بن هود صاحب سرقسطة سنة ٤٦٨ وافتك منه المدينة والحقها بسرقسطة . ولما مات المقتدر واقتسما ولداه ملكه كانت دانية من نصيب المنذر .

ما اجمل بلاطات ملوك الطوائف كيف كانت ملتقى الشعراء وكعبة الادباء ومقصد العلماء يحجون اليها من كل ناحية ويتنافسون على السيادة والنبوغ فيها . كان بها الملك وجماعته من ذوي الفكر يتعاطون البضاعة الادبية والمتاع العلمي وهم لا يفتكرون بما سيحيي لهم به الغد . اكان خيرا ام شرا .

كانت دانية لها بلاطها فيه الشعراء والادباء وتعقد المحافل وتاتلف النوادي الادبية وكان مجاهد قد جعل عاصمة ملكه قاعدة علم القراءات . فاختصت بذلك وصار في اهله اقرا اهل الاندلس . وكان يستجلب القراء ويفضل عليهم وينفق عليهم الاموال . فكانوا يقصدونه وقيمون عنده . فكثروا في بلاده .

وقد كثر بها العلماء على اختلافهم .

منهم الكاتب ابو بكر محمد بن قاسم . كان من اهل وادي الحجاره كان ارتحل الى المشرق اثر الانقلاب بقرطبة . ثم لما استقر ملك مجاهد بدانية ودع الشرق بلا سلام وحل بدانية لدى ملكها مجاهد العامري في بجوحة عزلا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها - بعد من بلوغ الامال ما ليس عليه مزيد . قال من ايات يمدح مجاهدا :

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد * وكم ابصرت عيني وكم سمعت اذني
ولاقيت من دهري وصرف خطوبه * كما جرت النكباء في معطف الغصن
فلا تسالوني عن فراق جهنم * ولكن سلوني عن دخولي الى عدن
ومن علماء ذلك الوسط في العهد الذي نحن بصدد محمد بن طاهر الخزرجي
الداني . سمع بدانية من امامها في القراءات على عهد مجاهد ابي داود المقرئ وغيره .
وله رحلة الى المشرق . وكان عالما بالنحو . كان مولده بدانية سنة ٥١٢

وكان زعيم تلك الطائفة ورئيس تلك الطبقة شيخ الطب العربي ومبلغ علم العرب
الى الافرنج وحامل لواء الحضارة العربية ابو العلاء ابن الزهر الطيب المشهور الذي لا
يحتاج الى ترجمة . ناهيك ان كتبه كانت عمدة التدريس باوروبا الى القرن السادس عشر
ولد هذا النابغ الفذ سنة ٥٠٧ بمدينة دانية . وعاش هناك وثقف ودرس .

في مثل هذا الوسط الرفيع وبين هذه الطبقة العالية من العلماء وعلى عهد ملك
هداه الله الى تشييط العلماء والاخذ بيد من تعاطى بضاعة الفكر . ولد ابو الصلت
امية بن عبد العزيز سنة ٤٦٠ بمدينة دانية التي اوجزنا ذكرها على عهد ملكها الثاني
اقبال الدولة بن مجاهد العامري ونشا في ذلك الوسط الراقى : ففتح قريبته المنظر
البديع من مشهد البحر والجزائر والرياض . ومرت خلايا فكرة الدراسة على مشائخ
فطاحل في كل علم . نخص بالذكر منهم ابا الوليد الوقشي قاضي دانية كان ابو الوليد
الوقشي هذا من اعم الناس بالهندسة واءراء الحكماء والنحو واللغة ومعاني الاشعار
والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها .
وهذا ابو الوليد هو القائل :

سرح بي ان علوم الورى * اثنان ما ان فيهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيها * وباطل تحصيله لا يفيد

ومن تأليف ابي الوليد نكت الكامل وهو تعليق جليل وبيان مطول لما جاء
في كتاب الكامل للمبرد تلك الموسوعة الادبية التي هي من امهات عيون الادب .
فهذا الرجل العالم الجامع لا غرابة في ان يتخرج عليه جماعة من فطاحل العلماء .
وكون ابي الصلت امية من خاصة تلاميذه فهذا يفسر لنا باتم جلاء سر تبحره في العلوم

وتفوقه فيها واختصاصه ببعض العلوم الطبيعية والرياضيات التي كان يمتاز بها العالم الحقيقي. فقد اخذ عن استاذة ابي الوليد - زيادة عن علوم القرآن والفقه واللغة والادب علم الهندسة والحساب والفلك والفلسفة. فتخرج فيها احسن تخرج على مذهب استاذة. وكان يبننا نستطيع ان نقدر ثقافة ابي الصلت بثقافة استاذة.

حفظ امية القرآن، واتقن العربية وعلومها الآلية من النحو والصرف والمفردات والبلاغة وغيرها من العلوم اللسانية ثم اقبل على الشعر بالحفظ والدرس. حتى صار وحيد عصره في معرفة ايسام العرب والاطلاع على دواوينهم وتقد اشعارهم. وتضلع في العلوم الموصلية لفهم الشعر كالعروض والقوافي وغيرها. ثم انه اقبل على العلوم الرياضيات من الحساب والهندسة والميقات حتى اخذها عن استاذة واستاذها. وصرف عنايته الى درامة الحكمة القديمة من الفلسفة اليونانية والعربية. ثم انقطع لتعلم الطب حتى صار استاذاً من استاذته. ولما كانت طريقة الدرس في عصره توجب على الطالب ان يتعاطى علوماً ثانوية للتوصل للفلسفة والطب كالنسابات والتشريح وعلى الخصوص الموسيقى فقد اقبل عليها بجد حتى حصل.

ولما صار له هذا التحصيل وتمت ثقافته صار الشاعر المجيد والفقير الكبير والموسيقي المشهور والطبيب الماهر والحكيم المصيب.

وهكذا نجده في محيطه الدائري نحو سنة ٤٨٠ اي بعد ان اتم العقد الثاني من عمره وكان قد شاهد الانقلاب وخروج مدينة دانية من يد اقبال الدولة ودخولها في حوزة المقتدر ثم في يد ولده المنذر

ثم انه اقبل يسافر ويرتحل من مدينة الى مدينة بالاندلس، فزار سرقسطة واشبيلية وشاطبة ومرسية. ولا نعلم انه زار غيرها. وقد نسبته بعض المؤرخين الى بعض هذه المدن فقال الاشبيلي وقال السرقسطي ولا اصل لهذه النسبة الا الزيارة ليس غير.

كثرت الفتن بالاندلس. وتحول ابو الصلت عن مسقط راسه فعزم على السفر وارتحل الى افريقية فحل بمدينة المهدية مع امه واهله بعد سنة ٤٨٠. وانتقل بالنهاية من المحيط الاندلسي الى محيط غيره. يشبهه في اشيائه ويخالفه في اخرى.

وإذا كنا لا نعلم شيئاً من أعمال صاحبنا بالاندلس أما في السياسة أو في العلم أو في
الادب فإننا نعلم ببعض الدقة ماذا كانت مساكنه بارض المغرب .

لكن لندرس بإيجاز هذا الوسط الثاني الذي سيفتح له فيه العمل .

كانت افريقية - او المملكة التونسية - في القرن السادس تحت حكمه الدولة
الصنهاجية البربرية . وهذه هي اعظم دولة تونسية وطنية عمات الاعمال العظيمة في
العمران والسياسة والعلم . وفيها قد ظهر نتائج ما ابدته الدولة الاغلبية من المؤسسات
الحكومية كالوزارة والبريد والجند والاسطول . والعلمية كبيت الحكمة والدراسة الجامعية .
وما خلفته دولة الفاطميين العبيدية من حرية التفكير واطلاق العنان للفلسفة والتنشيط
على العلم الصحيح . فهذه الموروثات الطيبة الصالحة لاقامة دعائم دولة ثابتة منتجة هي
التي لو ورثتها دولة صنهاجية يوم سلم المعز لدين الله الفاطمي مقاليد الحكم الافريقي
بيد زيري بن مناد البربري . وقد حاول ابناء زيري ان يستفيدوا منها . فاستفادوا
وناهيك بجمهور العلماء والادباء الذي ظهر على عهد المعز بن باديس مثل (ابن رشيق
وابن شرف وعلي ابن ابي الرجال وغيرهم .

لكن المصائب توالى على تونس . فهاجم عليها الاعراب الهلاليون في سنة الاربع
ولم يبقوا بها ولم يذروا . فاحرقوا وخرّبوا وغنموا وسبوا وافسدوا الامن واقتلوا الحكومة
وهاجم عليها النرمان من البحر واستولوا على ثغورها كجربة وقرقة وقابس وصفائس
وسوسة . وظهرت بها ملوك الطوائف في الجهات . فاستقل بنو يماول بتوزر . وبنو
الرمث بقفصة وبنو جامع بقابس وبنو خراسان بتونس وبنو الورد بمنزرت الى غير ذلك
فهذه هي حالة المملكة التونسية يوم حل بها امية ابن ابي الصلت . فهي من هذه
الجهة شبيهة بالاندلس اذ حل بها النرمان . او المجوس كما يسمونهم . وظهرت بها
ملوك الطوائف لكن الاعراب - وليسوا بالاندلس - زادوا الطين بلة والاحوال ارتباكاً .
واما مدينة المهدية التي كانت عاصمة صنهاجية فقد قال الشريف الادريسي
يصفها يومئذ :

« والمهدية مدينة لم تزل ذات اقلاع وحط للسفن الحجازية القاصدة اليها من

بلاد المشرق والمغرب والاندلس وبلاد الروم وغيرها من البلاد . واليهما تجلب البضائع الكثيرة بقناطير الاموال على مر الايام . ومدينة المهديّة كانت مرسى وفرضة للقيروان استحدثها عبيد الله المهدي الفاطمي سنة ٣٠٣ . وكانت المسافرين اليها كثير والبضائع اليها مجلوبة من سائر البلاد والافطار والامتنعة والمتاجر بها نافقة وفيها بائعة . والهمم على اهلها موقوفة واليهم راجعة . ولها حسن مبان لطيفة نظيفة المنازل والمتبوات وديارها حسنة وحماماتها جميلة وبها خانات كثيرة . وهي في ذاتها حسنة الداخل والخارج بهيمة المنظر . واهلها حسان الوجوه نظاف الثياب . ويعمل بها من الثياب الحسنة الدقيقة الجيدة المنسوبة اليها ما يحمل ويتجهز به التجار الى جميع الافاق في كل وقت وحين ما ليس يقدر على عمل مثله في غيرها من البلاد والامصار لجودته وحسنه . ويحيط بالمهديّة سور حسن مبني من الحجارة وعليها بابان من حديد لفق بعضه على بعض من غير خشب وليس يدرى في معمور الارض مثلها صنعة وثاقفة وها من عجائبها الموصوفة « ليس بالمهديّة جبانة تعرف في وقتنا هذا وبالنسبة يدفن اهل المدينة موتاهم يحملونهم في الزوارق اليها فيدفنونهم بها ثم يعودون الى بلدهم . »
« والمهديّة في حين تاليفنا لهذا الكتاب مدينتان . احدهما مدينة المهديّة والثانية مدينة زويلة .

ومدينة المهديّة يسكنها السلطان وجنوده . وبها قصرة الحسن البناء العجيب الاتقان والارتقاء . وكان بها طيقان الذهب وكانت مما يفتخر به ملوكها . وبمدينة زويلة الاسواق الجميلة والمباني الحسنة والشوارع الواسعة والازقة الفسيحة واهلها تجار مياسير نبلاء ذوو اذهان ثاقبة وافهام ذكية . وجل لباسهم البياض ولهم همم في انفسهم وملابسهم . وفيهم الجمال . ولهم معرفة زائدة في التجارات وطريقتهم حميدة في المعاملات .

ولهذه المدينة اسوار عالية حصينة جدا تطيف بها من سائر جهاتها ونواحيها البرية والبحرية وجميعها مبني بالحجر وفيها فنادق كثيرة وحمامات جمّة . ولهذه المدينة من جهة البر خندق كبير تستقر به مياه السماء

وبخارجها من جهة غربيها جمى كان قبل دخول العرب ارض افريقية وافسادهم

لها فيه جنات وبساتين بسائر الثمار العجيبة والفواكه الطيبة - ومدينة المهديّة قاعدة بلاد افريقية وقطب مملكتها »

بعد هذا الوصف الممتع البديع لم يبق الا ان نقول كلمة في ملك افريقية من صنهاجة عند قدوم ابي الصلت امية .

هو الامير تميم بن المعز بن باديس ولد سنة ٤٢٢ للهجرة وتربى احسن تربية وتثقف اتم تثقيف في وسط من العلماء الكبار وفي محيط من الادباء العظام . فكان بطبيعته وثقافته عالما واديبا . محبا لاهل العلم والادب . ولما كبر اولاد ابوه عمل المهديّة الى ان مات . فتربع مكانه على عرش بني زيري ابن مناد .

وكان طيب السياسة سار في الناس سيرة حسنة . وكانت له حروب كثيرة مع الاعراب الهالين

ولتميم بن المعز هذا اشعار كثيرة مشهورة . وقصيدة الشعراء من كل ناحية . وفي جملتهم ابو الصلت امية .

قصيدة بعد الثمانين واربعائه هو واهله . فاكرم مشوا وجعلاه من خاصته حتى صار شاعرا وطبيباً وحكيماً وصاحب الراي لديه في السياسة .

ولما صعد المستعلي الفاطمي سنة ٤٨٧ واراد الامير تميم ان يحسن العلائق بينه وبين الفاطميين عكس سياسة ابيه التي ادت بالبلاد الى الخراب . جهز امية بهدايا فاخرة ورسائل لطيفة وارسله في مهمة سياسية الى مصر . فوصل الاسكندرية سنة ٤٨٧ هو واهله وامه .

وهنا ينتهى الدور الاول من اقامته بتونس . لكنه دور لم تطل مدته ولم تظهر فيه براهين نبوغه واياته باجلى مظاهرها .

انتقل امية الى المحيط الثالث .

الى محيط مصر يوم كانت الدولة الفاطمية في آخر مدتها ونفاد قوتها . فقدم على المستعلي كما قلنا . ولكن المستعلي لم يكن الا صورة وهمية . كانت حقيقتها رجل مملوك ارمنى اسمه الافضل شاهنشاه . قد استبد بالادارة اتم استبداد ولهذا الرجل اهمية عظمى لها ارتباط خاص بموضوعنا . وهي ان ابا الصلت كان

لا يجب الافضل شاهنشاه وكان يشير الى ذلك في قصائده وان جرت مجرى المدح .
قال من قصيدة يمدحه :

تردى بكل قنا اذا شهد الوغى * نثر الرماح على الدروع كهوبا
قد لوحته يد المواجه فانتهدى * مثل القنطرة قضاه وشجوبا
تعطى الذي اعطتك سمر القنطرة * ابدا فتغدو سالبها مسابوبا
وانا الغريب مكانه ويبهانه * فاجعل صنيعك في الغريب غريبا

ولما شعر الافضل بان هذا الشاعر غير مبال اليه بالكلية اختلق له سببا واودعه
السجن في خزانة الكتب بالقاهرة وكان هذا نحو سنة تسعين فبقي هناك الى سنة ٥٠٦
حيث رجع الى المهدي .

تأسست خزانة الكتب في القرن الرابع واهتم الخلفاء بجمع نفيس الكتب فيها .
فلما حبس امية هناك وجد مادة ثرية ومنجما لا تنضب عناصره . فقضى ليله ونهاره
في المطالعة الى ان استكمل ايام مسجنه .
وكانت نتيجة هذا السجن لا الخط من قيمة الرجل بل الزيادة في معلوماته الى
ما لاحد له .

ونحسب ان هذا من اهم الاسباب التي رقت ثقافة امية ووسعت دائرة علومه .
عاش امية بمصر قبل السجن عيشة اديب . وكان يروح ويغدو بين القاهرة
والاسكندرية

وسبب ترده على الاسكندرية ان بها كان رجل عظيم يعرف بمكين الدولة ابي
طالب احمد بن عبد المجيد بن حميد . وكانت له مروعة عظيمة . وكان يحتذى افعال
البرامكة من تنشيط اهل العلم والادب والاعداق عليهم بالدين . وقد مدحه الشعراء
منهم ظافر الحداد . وصاحبنا ابو الصلت امية . وغيرها

ولولا مخافة الاطالة لاوردنا شيئا كثيرا من اخبار مكين الدولة وايات كرمه .
وقد نظم ابو الصلت امية اشعارا كثيرة في وصف الاهرام وبركة الحبش ونهر النيل
وغير ذلك من اعاجيب مصر .

النيل

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارتنا به من برها عسكرا مجرا
اذا زاد يحكى الورد غضا وان صفا * حكي ماء لونا ولم يحكيه مسرا

الرصمد

يا نزهه الرصمد التي قد اشتملت * من كل شيء حلا في جانب الوادي
فذا غدير - وذا روض - وذا جبل * والضب والنون والملاح والحدادي

بركة الحبش

ذكر ابو الصلت امية بن عبد العزيز :

« عزم بمصر هو ورققة له على الاصطباح . فقصوا بركة الحبش في وقت
ولاية الغبش . وحلوا منها روضا بسم زهرة ونسم عطرة فاداروا كئوسا تطلع مع المدام
شعوسا وعانوها نجومها تكون لشياطين الهوم رجوما . فطرب حتى اظهر الطرب
نشاطه وابرز ابتهاجه وانبساطه :

لله يومى ببركة الحبش * والجوين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كضارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة * دبح بالنور عطفهما ووشى
قد نسجتها يد الغمام لفسا * فنحن من نورها على فرش
فعاظني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير متعش
وستقني بالكبار مترعسه * فهن اوى لشدة العطش
فاتقل الناس كلهم رجل * دعاة داعي الصبا فلم يطش

ذكر صاحب بدائع البداية :

« ان جماعة من الشعراء في ايام الافضل خرجوا متزهين الى الاهرام ليروا عجائب

مباينها ويتأملوا ما سطرة الدهر من العبر فيها . فاقترح بعض من كان معهم ان يعملوا شعري في ذلك .

فصنع امية :

بعيشك هلا البهزرت اعجب منظرا * على ما رات عيناك من هرمي مصر
انافا باعنان السماء واشرفنا * على الجواشرف السماك على النشر
وقد وافيا نشرنا من الارض عاليها * كانهما نهضان قاما على صندر
رجع امية بن عبد العزيز الى المهديّة . بعد ان قضى بصصر ١٦ عاما في التحصيل .
ويظهر من شعرة انه كان مستاء من مقامه هناك لكن ذلك كان له اثره الاكبر في
تكميل ثقافته .

رجع الى المهديّة في عهد يحيى بن تميم اذ ان تميما توفي سنة ٥٠١ . وكان يحيى
هذا رجل سياسة وحزم .

فاسترجع بعض من خرج من البلاد كقليبية وارجع صفاقس الى حكم ولده علي
وحسن العلائق مع الفاطميين فراسلوه وهادوه . وتوفي سنة ٥٠٩

فقام بالملك بعده ولده علي . كان علي واليا على صفاقس ولما وصل الجح مع ابي بكر
بن جابر وغيره من امراء العرب اجتمع حوله الجيش الصنهاجي .

ولما تقوت بتونس العاصمة دولة بني خراسان على عهد احمد بن خراسان قدم اليها
علي وتصالح واياه على شروط .

ثم ان عليا توفي سنة ٥١٥ .
وقام بالامر بعده ولده الحسن اخر ملوك الصنهاجيين وفي آخر ايامه اخذ النرمان

المهديّة سنة ٥٥٢ ، وذهب هو وعائلته الى المغرب واستولى عبد المؤمن على افريقية .
وانتهت بها القلائل .

عاش امية ابن ابي الصلت على عهد هؤلاء الملوكة . وخدمهم بسياسته ونفعهم بعلمه
وعالجهم بطبه ومدحهم بشعرة .

ولعلنا نجد في شعرة من التفاصيل التي تشرح لنا احوال الدولة الصنهاجية ما لا
نجد في مطولات كتب التاريخ .

وقال يذكر قصرا بناه علي بن يحيى بن تميم بن المهز
لله مجلسك المنيف قبـــــابـــــه * بموطد فوق السماءك مؤسس
موف على حبك المجرة - تلتقى * فيه الجواري بالجواري الكنسس
تقابل الانوار من جنبـــــاته * فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمـــــائـــــه * عطف الالهة والحواجب والقسي
واستشرفت عمد الرخام وظوهرت * باجل من زهر الربيع وانفس
فهواؤه من كل قد اهيف * وقارة من كل خد امسس
فلك تحير فيه كل منجـــــم * وافر بالتقصير كل مهندس
فبدا للخط العين احسن منظر * وغدا لطيب العيش خير معـــــرس
فاطلع به قمرا اذا ما اطلعت * شمس الحدود عليك شمس الاكسس
فالناس اجمع دون قدرك رتبة * والارض اجمع دون هذا المجلس
قال ابو الصلت :

« كنت مع الحسن بن علي بن تميم بن المهز بن باديس بالمهدية في الميدان . وقد
وقف يرمي نشابا . فصنعت فيه بديها :

يا ملكا - مذ خلقت كفـــــه * لم تدر الا الجود والبـــــاســـــا
ان النجوم الزهر - مع بعدها * قد حسدت في قربك الناسا
وودت الافلاك لو انهـــــا * تحولت تحرك افراـــــا
كما تمنى البدر لو انه * عاد لنشاك برجاـــــا

قال في قصر بناء الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي بالمهدية واسمه منزل
العز :

منزل العز - كاسمه معناه * لا عدا العز من به سمـــــاه
منزل ودت المنازل في اءـــــلا ذراه لو صيرت ايـــــاه
فاجل فيه لحظ عينك تبـــــر * اي حسن دون القصور حواه
سال في سقفه النصار ولكن * جمعدت في قارة الامـــــواه
وبار جائه مجال طـــــراد * ليس تنفك من وغي خيـــــلاه

وثانيها مطالعته بخزانة الكتب
 وثالثها اسفاره وارتاده البلاد ومخاطبته للاوساط الراقية على اختلافها
 وكان صاحبنا ذا وجوه مختلفة
 فكان شاعرا وله ديوان نقل البعض منه صاحب « نفح الطيب وحمزة الاصفهاني
 في خريدة القصر »

وقد جمع اشعار معاصريه في مصنف طويل على نسق - يتمة الدهر في شعراء العصر »
 للشعالبي

واحسب انه شاعر مجيد رقيق المعاني دقيق الوصف ذو ابتكارات بدعية . وتغلب
 على شعره لغة العلم فانك لا تراه يتحدثك - وهو يصف - عن الهندسة والكواكب
 والحكمة . مما يدل على ان الثقة العلمية غالبة عليه .

وكان سياسيا . فقام بخطه بين الصنهاجيين والفاطميين لكننا لسنا نعلم كنهها
 بالضبط . ولا نعلم قيمة دهائه فيها

وكان عالما - بالهندسة والرياضيات - ولعل علومه هذه استعملت في انشاء الاساطيل
 بالمهدية وبناء قصور الصنهاجيين

وكان عالما بالمنطق وتاليفه المسمى « بتقويم الازدهان » من احسن ما ألف في هذا
 العلم . لغته سهلة واسلوبه حكيم بعيد عن طريقة التفرع والتعقيد العلمي .

واحسب من الواجب ان يقرر تدريسه بالجامع الاعظم .

وكان عالما بالموسيقى وهو واضع طريقة الاغان المغربية التي بقيت الى ايام الحفصيين
 وربما كان بعضها هو ما نسميه اليوم « بالمولف »

وكان طبيا ماهرا وله التصانيف المهمة والمناقشات الحادة في موضوع علمه .
 وكانت له تأليف مهمة .

اما الادبية منها فهي :

الحديقة في شعراء العصر . على اسلوب يتمة الدهر للشعالبي وهذا الكتاب قد ضاع
 وديوانه وقد بقيت منه نفث .

واما الفلكية منها فهي :

رسالة العمل بالاسترلاب

والوجيز في علم الهيئة

واما المنطقية فهي كتاب : « تقويم الازهان » وقد طبعه المستشرق الاسباني قذيرة

واما الطبية فهي : كتاب الادوية المفردة

والانتصار في الرد على ابن رضوان في ردة على حسين بن اسحاق في مسائله .

فانظروا هذا الانتاج الكامل المتنوع واحكموا بقيمة الرجل .

مات امية بمدينة المهدية سنة ٥٢٣ ودفن بالمنستير .

فرحم الله تلك النفس الزكية التي تركت لنا معشر التونسيين ذخرا علميا وادبيا

نفاخر به على طول الاجيال .

* دولة بني خرسان *

ايها السادة الافاضل

انه يوجد في قلب المدينة نهج ضيق المسلك فيه صعود وانحدار واستواء والتواء
وفيه ايضا شيء لا يستهان به من القذورات رغم اجتهاد المجلس البلدي بارك الله فيه .

هذا هو نهج سيدي بوخرسان

ونحن طالما مررنا بهذا المسلك ولم نتساءل من هو هذا السيد الفاضل الذي شاعت

الادارة ان تخذل اسمه فتوجت به عنوان زقاق من اشهر الازقة ؟

نتساءل عن هو هذا السيد لا سيما والبعض منا طالما ذهب امام تلك الزاوية

وتوسل الى الشيخ المرابط ان يقضي حاجته ببركاته وكراماته ؟

لكن ما كان صاحبنا مرابط . ولا قصد في يوم من ايام حياته ان يستحيل قبرة الى

مزار يقضى عنده الحاجات

انما هو امير فحسب ينتسب الى اسرة ملك قد قبضت على اعنة الدولة التونسية نحو

من قرن

فما سيدي بوخريسان الا احد امراء بني خراسان الذين استولوا على العاصمة التونسية في القرن السادس للهجرة
وليس هذا معناه اني اريد الخط من مزايا هذا السيد . فربما كان من الامراء من هو افضل من المرابطين
وربما كان من المرابطين من هو افضل من الامراء

فحديثنا الليلة هو عن هذه الدولة التي قامت بالعاصمة كيف بدات وكيف نشأت وما هي المحيطات المختلفة التي اكتنفتها . وكيف كانت سياستها وما هي الاعمال التي قامت بها

ثم الامام بشيء من احوال المجتمع الذي نشأت فيه ولما كان حديثنا عن العاصمة اولاً . فاسمحوا لي بان اتلو على شريف مسامعكم عجالة مختصرة هي قصة تاريخ الحضرة التونسية

مدينة تونس مدينة قديمة البنيان متوغلة من حيث القدم في مجاهل التاريخ قد اسسها جماعة من الفينيقيين في القرن التاسع قبل ميلاد عيسى عليه السلام بمعنى احدثت قبيل مدينة قرطاجنة بسنوات قليلة
كانت في الاول مركزا تجاريا يصرف اليه الفينيقيون بضائع المشرق من مصنوعات الهند وتحف فارس ونتاج العراق والشام وبلاد اليونان . فيبيعونها للبربر مقابل الجلود والتبر والاصواف وغيرها

وقد اتسع نطاق تونس حتى اتصلت بقرطاجنة الدار تلو الدار والحديقة تلو الحديقة لكنها لم تستقل عنها بالسيادة وانما صارت الى ربض من ارباضها
ذكر كزاد منيرت في كتابه « الجغرافيه القديمة لبلاد البربر » ما نصه
« على الضفة الغربية من البحيرة المتصلة بالبحر كانت تقع مدينة تونس على بعد سبعة اميال من رادس كان يسميها الرومان تونس والاغريق يسمونها تينس وكانت مدينة ذات

اهمية قد اشتهرت عند المؤرخين من القدماء بشق عصا الطاعة والثورة على قرطاجنة «
وربما لاقت الشدائد مما كان يصيبها من حصار قرطاجنة . اذا قام رعاياها في وجهها
مثلها صار في القرن الرابع قبل الميلاد

وذلك ان القائد القرطاجني علقون لما خاب امام سرقوسة بارض سيسلية خلى سبيل
الافارقة وتركهم وشأنهم فنارت ثائرتهم واجتمع رعايا قرطاجنة وكانوا مائتي الف او يزيدون
واستولوا على مدينة تونس ثم حاصروا قرطاجنة
وقد دلت كتب الاخبار على ان هذه الحضرة كانت من قديم الازمنة دار حرب
وقلعة محصنة تمنع غارات البربر عن قرطاجنة

* * *

هي مدينة قد كرمها الله فورد ذكرها في التوراة وكان اسمها ترشيش . وجاء في
التوراة ان النبي يونس عليه السلام ركب البحر من مدينة يافا الى ترشيش
وجاء في الكتب المقدسة عند النصارى ان بعض قبائل المشرق هاجرت من اسيا
الصغرى وقصدت شبه جزيرة راس ادار . فالتحقت بها عشائر بني كنعان التي اجلاها
يوشع . واجتمع الفريقان في تونس وعمرت بهما

* * *

قال ابو عبيد البكري في كتابه « المسالك والممالك » ما نصه : « في سنة اربع عشرة
ومائة بنى عبيد الله بن الحجاب الجامع - وهو جامع الزيتونة عمرة الله - ودار الصناعة
بمدينة تونس »

وافتح تونس حسان بن النعمان بن عدي بن بكر الازدي . وروى جماعة عن
ابي المهاجر دينار قال :

سار حسان بن النعمان الى جهة ارطه . فقاتل الروم بفحص تونس . فساله الروم
الا يدخل عليهم وان يضع اداء الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله واصحابه .
فاجابهم الى ذلك .

وكانت لهم سفن معدة من ناحية الباب الذي يقال له باب النساء

فاحتلوا فيها اهلهم واموالهم . وهربوا ليلا واسلموا المدينة

فدخلها حسان . وبنى فيها مسجدا وبقي هناك طائفة من المسلمين من عرب الفتح وانصرف حسان الى القيروان .

واغارت الروم من البحر على من كان بقي من المسلمين بمدينة تونس . خرجت اليهم في المراكب .

فقتلوا من بها وسبوا وغنموا . ولم يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم .
دائما كانوا معسكرين هناك

وبلغ حسان ذلك . فرحل الى تونس

وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمين من البلاء .

واقام هناك مرباطا ينتظر رأي عبد الملك . فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه .
وكان اذ ذاك التسابعون متوافرين . فيهم اثنان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهما : أنس بن مالك وزيد بن ثابت فقالا للمسلمين :

« من رابط برادس يوما فله الجنة حتما »

وقالا لعبد الملك بن مروان :

« مد هذه البلاد وانصر اهالها . ليأمنوا من العدو ويكون لك ثوابها واجرها »
فانها من البلدان المقدسة .

المرحوم اهلها .

وهي حرس للقيروان

فكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز - وهو والي مصر - ان يوجه الى معسكر تونس الف قبضي باهله وولده .

وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش .

- وكتب الى حسان بن النعمان يامره ان ينيي لهم دار صناعة تكون قوة
وعدة للمسلمين الى آخر الدهر .

وان يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم الى آخر الدهر .

وان يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر .
وان يغار منها على ساحل الروم حتى يشتغلوا عن القير وان نظرا المسلمين وتحصينا لشانهم
فوصل القبط الى حسان . وهو مقدم بتونس . فساخرى البحر من مرسى رادس
الى دار الصناعة .

وجر البربر الحشب . وجعل فيها المراكب الكثيرة
وامر القبط بعمارتها اه .

لما كثرت الفتن الداخلية بالقير وان وعلم الاغلبة ان لا قرار لهم بتلك العاصمة التي
ما زالت فيها الاحزاب اليمنية والاحزاب الهاشمية تعمل عماها ضد الحكومة المركزية
وادرك اولئك الملوك ان الحامية الزنجية قد لا تغني عنهم شيئا . وان قصور رقادة
والعباسية قد اصبحت وهي لم تعد حصنا حصينا يدفع غارات رعا القير وان اختار احمد
ابن الاغلب ان ينتقل بالملك من القير وان الى تونس
ولذلك اسباب كثيرة .

اولها ان القير وان لا تصلح ان تكون عاصمة الا ما دامت الدولة العربية لا
تقدر على مقاربة البحر خشية هجوم الروم وهي لا تقوى على مدافعتها بدون اسطول
اما والاغلبة قد انشأوا دار صناعة بسوسة . علاوة عن دار صناعة تونس . واما
وهم قد اصبحت لهم اسطول يصول ويجول في البحر المتوسط ويرفع العلم الاغلبى على
ربوع مالطة وصقلية وسردانية وحتى كرسكه . فلم يعد ثمة من موجب يدعو الى
فرار الثغور البحرية والاعتصام بقاعدة لا موقع حربي لها . ولا جبال ولا انهار تمنع عنها
غارات البربر والعرب .

وثاني الاسباب ان عاصمة تونس لم يكن بها الا عدد قليل من العرب . وقد
اوشكوا ان لا يكونوا من جنود الشام القديم المناصر للدولة الاموية الزائلة او الدولة
الاموية الناشئة بالاندلس .

وليس فيها من البربر الا جماعة قليلة لا تكاد تقوم قومة الثوار المجدين .
وليس بها احزاب عنصرية تدعو الى العصبية المضرة ضد العصبية اليمنية او العكس
او تدعو الى فريق كتامة من البربر ضد فريق الرستميين وليس فيها احزاب دينية
فيها المايكبة والاباضية والمعتزلية وغيرها .

انما هي مدينة معظم سكانها من بقايا الروم الذين احلت بهم الخيبة . فاسلموا بالحب او بالكره او بقوا على نصرانيتهم ووضعوا كل جهودهم في الانقطاع الى المسيح عليه السلام .

فليس هؤلاء من شأنهم ان يقوموا في وجه دولة وانهم لنفر قليل وانهم لمحصورون بين البحر من جهة والجند الاغلب من ثنية .

اولئك معظمهم قد انقطع للعلم . اما من النصارى الذين استعملوا في الخدم الفنية كالبناية او انشاء السفن او ضرب السكة او التدريس .

او من المسلمين الذين ولوا وجهتهم درس المسائل الفقهية واقامة دعائم الدين على التشريع المنزل في بلاد سئمت نفوس اهلها فتن الخلافات المذهبية وقيام شعبة من النصرانية مقام شعبة اخرى بين عشية وضحاها

والسبب الثالث ان موقع تونس موقع حصين . فالجبل الاحمر يدفع عنها غارات البربر . والبحر - اما هي تملكه - فهو يجعلها في مامن من كل مفاجاة رومية والوسط نفسه وسط علم وانقطاع لا وسط ثورة وابتداع فانقل الاغلبة بالملك الى هذه العاصمة .

فبنى زيادة الله بن الاغلب جامع الزيتونة وسور تونس وقصبتها . ويشهد على ذلك ما هو مكتوب في القبة التي فوق المحراب اسم امير المؤمنين المستعين بالله العباسي سنة ٢٥٠ للهجرة

وبنى غيره سوق البركة وهي اقدم سوق في العاصمة . وقد ذكر بعض المؤرخين ان هذه السوق المجهولة لبيع الرقيق من محدثات المصريين في الصدر الاول . فاخذها عنهم الاغلبة وبنوا بركة القيروان وبركة تونس .

وذكر ابن ناجي في كتابه « معالم الايدان » واتخذ بنو الاغلب تونس لمنتزهاتهم وقال البكري :

« وبقبلي مينا تونس قصر مبني بالحجارة متقن البناء وفي الجوف منه حائط صخر كالسور .

فصار المدخل بالسفن في هذا الميناء بين حائط القصر وهذا السور .

وتعرض بينهما سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج ما دامت متعرضة
وهذا القصر يعرف بقصر السلسلة
وبقلي القصر صهريجان كان ملوك بني الاغلب يرسلون فيهما ماء البحر ويملونهما
بالسمك .

وبني بنو الاغلب قصرا غربى العاصمة قرب مكان يسمى الملعب فيه مزارع متصلة
وغرسوا فيه جميع الثمار واصناف الرياحين .
وباب قرطاجنة من تونس بساتين كثيرة وآبار سواني تعرف بسواني المرج .
وبالجوف منه قصور لبني الاغلب وبساتين فيها اصناف الثمار والرياحين
الى هنا انتهى بنا الحديث عن تونس قبل دولة بني خراسان
فما كان شان هذه العاصمة على عهدهم

كانت تونس على عهد بني خراسان مدينة مصرية وعاصمتها محضرة تظاهي القيروان والمهدية
كان لهما سوران
داخلي وخارجي

فالسور الداخلي من بناء بني الاغلب . ودورته اربعة وعشرون الف ذراع
ومعنى ذلك ان دورة السور في ذلك الوقت لا تقل عن دورته في العصر الحاضر
الا بشيء قليل

وربما كان عدد سكانها يبلغ ١٥٠ او يزيد . وكان لهذا السور الخارجي عدة ابواب
منها باب الجزيرة من الناحية القبلية . ومنه المنصرف الى الوطن القبلي والقيروان والجنوب
وهو ينسب الى قرّة بن شريك الوالي العربي الذي فتح شبه جزيرة راس ادر
ثم باب قرطاجنة . وهو اصغر من باب الجزيرة . وقد سمي كذلك لان منه المنصرف
الى قرطاجنة . وامامه خندق ماء كالنهر ليمنع الدخول الى المدينة الا على قنطرة توضع
عند الحاجة وترفع عند الحاجة

وهذا الخندق يدور بالعاصمة موازيا للسور زيادة في الحصن مثلما كانت العادة في
القرون الوسطى

واما ابواب السور الداخلي فاهمها بابان

اولهما باب سويقة

وهو قديم جدا

والسويقة هي السوق الصغيرة التي اسسها المؤدب محرز بن خلف في اواخر القرن الرابع

وذلك انه رأى الاسواق تبيع المواد وعليها مكوس لجانب السلطان

فاستصدر امرا من الامير الصنهاجي المعز بن باديس . في جعل سويقة تباع فيها

جميع اصناف المعاشات من اللحوم والخضر والعلال والادهان والقنوح . ولا تكون

مقبلة اي لا تكون عليها عكوس

ثم ان المعز اصدر له ظهيرا بتاريخ ربيع الثاني سنة ٤١٧ اطلق فيه يده في السويقة

والحمام المجاور لها

وجعل له حق جوار اليهود واسكانهم بالحارة المعروفة اليوم . وقد استجاروا بهذا

الولي فاجارهم وبقوا في حماه

واما الباب الثاني فهو باب البنات منسوب الى بنات بني خرسان كما سيأتي لنا

ذلك بعد حين

واما باب المنارة فهو من بناء الموحد بن بعد دولة بني خرسان بسنوات قليلة

وتوجد داخل هذا السور عدة حارات منها حارة القصور

وهي بين سوق اللغة وجامع القصر

والقصور هي البنايات البديعة الجميلة التي انشا بنو خرسان : دارا للملك ومنازل لحاشيتهم

وما زالت توجد من هذه القصور الى يومنا هذا دار تنسب للحنفسيين . وليست هي

من عمل بني حفص انما هي من انشاء بني خرسان

وفي هذه الحارة : قصور الملوك وديار الخاصة وما زالت الديار الموجودة بهذه الازقة

من اقدم بنيان تونس ومن ذهب على العين اتضح له ذلك بالدليل

وفي هذه الحارة الجامع الكبير الذي انشا بنو خرسان على انقاض كنيسة رومية قديمة

وهو المسمى اليوم بجامع القصر نسبة الى قصر الامراء من اولئك السادة

وفي هذه الحارة اسواق لهم

واشهرها سوق القيصرية

والتيصرية اسم للاسواق الملوكية في القديم كانت تنشئها الدولة لتوفير اسباب المعاشات على الرعية

وسوق القيصرية هي المسماة اليوم بسوق اللقصة ذلك الممر الصغير بين سوق اللقصة الكبير وسوق القماش

ثم سوق البركة وهو من بناء الاغالبه

وخلاصة ما هنالك ان حارة الاسواق هي لم تتغير من ذلك العصر القديم الى يومنا هذا الا ما احدثه او جدد احدثه الحفصيون مثل سوق العطارين وسوق الطيبين وهما من انشاء ابي زكرياء الاول مؤسس الدولة الحفصية وفي هذه الحارة مقبرة لهم

وهي مقبرة السلسلة القديمة . التي انشئت منذ القرن الثالث للهجرة حول تربة الفقيه الكبير علي ابن زياد ثم اتسعت نطاقها الى ان ضربت من جهة الى مقبرة سيدي عبد الرحمن المناطق . ومن جهة اخرى الى جامع القصر

والى يومنا هذا يوجد قبر تحت الصومعة ينسب الى رجل موحدي يسمى ابا علي توفي سنة ٦٢٦ اي بعد انقضاء دولة بني خراسان بسنوات قليلة

وفي مقبرة السلسلة توجد اضرحة امراء بني خراسان واميراتهم . ولما حولت هذه المقبرة الى روضة نقلت هذه القبريات التاريخية الى متحف باردو

فاودعت ظلمات داموسه

وعلى هذه المقبرة اسماء الامراء والاميرات وتاريخ وفياتهم

ولم تبق من مقبرة السلسلة الخراسانية الا زاوية سيدي بوخرسان

وهي فيها قبور بعض الذوات منهم . نخص بالذكر منهم محمد بن خراسان . وهو احد مراتهم المنسوبة اليه الزاوية

* * *

يتضح لكم من هذه العجالة ان نظام الحارة الخراسانية كان نظام قصبه

ومعنى ذلك ان الوسط كان يقوم فيه الجامع وحوله دار الامارة . ثم ديار الخاصه . ثم

منازل العامة ثم الاسواق ثم المقبرة

وأما الحارة الثانية فهي من القصبة الى باب السويقة
وهذه هي اقدم حارة تونسسية . وهي اول جهة عمرت من جهات هذه المدينة
ففيها كانت دار علي ابن زياد وغيره من مشاهير علماء تونس في القرن الثاني ثم القرن الثالث
ولما كانت المائة الرابعة عمرت الحارة التي بها دار المؤدب محرز بن خلف وداره
ومسجده وحمامه وسويقته .

وفي ذلك الوقت عينه . لما رأى ذلك الولي ان اليهود لم يكن لهم مقر وان بعض
العامّة تضطهدهم خلافا لما امرت به الشريعة جعلهم تحت رعايته وطلب من المعز بن
باديس ان يعين الحارة التي حوالي دار المؤدب ناحية من المدينة يختصون بها . تكون
فيها منازلهم وحواليهم واسواقهم ويبيعهم وجميع ما يحتاجون اليه من اسباب المعاش .
ورأى ان تكون هذه الناحية في حماه . وان يراعي الناس اليهود بكل ذمة . وان
يحسبوا لهم حق السكنى والعيش واقامة الشعائر وحرمت المنزل والزواج والمسكن
والمعتقد بحسب ما جاءت به الشريعة المطهرة . فكان الامر كذلك

واهلت تلك الحارة باليهود . وهي تنسب اليهم الى يومنا هذا . وفيها يسكن معظمهم
ولما كانت دولة بني خراسان هاجر معظم يهود القرى والبادي الى هذه الحضرة
واستقروا بحاراتهم . لما كان يعترهم من الخوف بسبب الهيجان في قبائل الاعراب .

* * *

سكان تونس على عهد بني خراسان خليط مزيج وغير مزيج فيهم جماعة من العرب
تنسب الى ثلاثة اصول مختلفة . اولها المضرية . التي جاءت هذه الحضرة في المائة الاولى
عند الفتح . وكانت من رؤساء الجند واعيان العرب . فكانت ترى لنفسها حقوقا وشرفا
تنكرها على سائر بني يعرب .

والثانية من القحطانية اليمنية المهاجرة الى هذه الديار اثر الفتن التي قامت في اليمن
غداة الحروب المذهبية من المائة الاولى فما بعد

والثالثة من بدو الاعراب من بني هلال وبني سليم وبني زياد الذين هجموا على
افريقية في سنة الارباع ٤٤٤

* * *

ومن سكان تونس جماعة من البربر من صنهاجة كانوا هم السراة والاعيان لانهم من
شيوخ الدولة الصنهاجية

والطبقة الثالثة من السكان تتألف من بقايا الروم الذين كانوا في هذه الديار قبل الفتح
وقد امتاز كل فريق من هؤلاء السكان بجهة من المدينة
واختصت كل طائفة بعاداتها ونظاماتها وتقاليدها فكانت المدينة عبارة عن حضرة
فيها قبائل مختلفة جنسا واصلا . كل قبيلة قد اقتطعت لنفسها ناحية استقرت فيها

* * *

نحن لان في عصر فوضى . فالدولة الصنهاجية قد شاخت وعجزت عن القيام باعباء
السلطة وامة الزمران قد هجرت على السواحل باساطيها . فاخذت سوسة والمهدية
وصفاقس وجربة

والاعراب قد سادوا بالنواحي
فكل جماعة منهم استقلوا بدولة
فاستقل بنو الرند بقفصة
واستقل بنو جامع بقابس
واستقل بنو الورد ببنزرت
واستقل بنو غلال بطبرية
واستقل بنو يماول بتوزر
الى غير ذلك

بحيث كانت تونس في ذلك منقسمة على الطوائف يقوم فيها امراء على راس كل
قرية نظير ما جرى للاندلس بعد ذلك بقليل
لما كانت هذه الحالة قلت الثقة في الحكومة وفسدت اخلاق العامة وتفر السواد .
وضعف نفوذ العلماء الا من اختار ان يكون آلة مسيرة في يد الطوائف
اما من كان ذا علم صحيح وضمير طاهر . فانه انعزل عن العالم واعتكف في كسر
بيته واقبل على العبادة

لذلك راينا هذا العصر قد اثر جماعة كثيرة من الاولياء والزهاد . قد ظهر معظمهم بالعاصمة

نخص بالذكر منهم عبد العزيز المهدي دفين المرسى . و ابا سعيد الباجي . و ابا فارس الصقلي و ابا الحسن الشاذلي

كانت حياة هؤلاء . ان يتخذوا لهم مسجدا يجتمعون فيه للذاكرات و بسط المسائل العلمية و اقامة شعائر الدين . وحث العامة على الزهد في هذه الدنيا و قد كان لهم نفوذ لى مـ . لو كـ بنى خراسان فكان اذا استجار بهم احد من ظلامه توسطوا فاجاروه و اوصاوا كل ذي حق بحقه

فكانت مهمتهم ان ينشطوا الروح الدينية و يباغوا الزهد و التمسك بنعيم الآخرة فكانوا يقوون الناحية الروحية و ينـ تشلون ادبيات الامة من التدهور في هوة الياس و القنوط

وهذه اعظم خطة قاموا بها حتى لا تقع الامة في الانحلال

صورت لكم وجه العاصمة و وصفت لكم حال ساكنيها في هذا القرن السادس الذي نشأت فيه بها دولة بنى خراسان فبقي علي ان اشرح لكم حال الدولة نفسها

لما تغلب الاعراب على القير و ان اثرو قعة حيدر ان في سنة الاربع و اسام المعز بن باديس اليهم و اعتصم بالمهدية

اضطربت افريقية نارا و انقسم الاعراب البلاد عمالات كما قدمت لكم فلما رأى اهل العاصمة هذا الخلل . و علموا ان الثرمان مدركهم من صقلية لا محالة و ان مصيرهم مصير اخوانهم من مسلمي صقلية . و تحققوا ان الاعراب المفسدين في نواحي الحضرة قد يكون من امرهم ان يستولوا عليها فيفسدوها

عمد جماعة منهم الى بجاية و قصدوا ملكها الناصر بن علناس بن حماد و طالبوا منه ان يولي عليهم رجلا قد اشتهر بحزمه و عزمه و عدله و انصافه

فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان قال بعض المؤرخين ان هذا الرجل العظيم و السياسي الماهر اصله من اهل تونس من بعض الفرس الذي كان يتكون منهم الجند الخراساني علي عهد بنى الاغلب

وقال مؤرخون اخر انه من صنعها جة فهو ابن عم الناصر بن علناس ملك بجاية وابن عم المعز بن باديس ملك المهدية

ومعها يكن من الاصل فان القضية كانت ان عاصمة تونس انسلخت عن الحكم الافريقي ودخات في حوزة بني حماد ملوك القلعة ثم ماوك بجاية

قل ابن خلدون : « فقام عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان بامرهم وشاركهم معه في امرهم وتودد اليهم واحسن السيرة فيهم وكان ذلك نحو سنة خمسماية

اول ما بادربه عبد الحق انه صالح الاعراب الضارين باحواز العاصمة على ان لا يفسدوا زرعاً ولا يسرقوا ماشية ولا يتعرضوا لمارة

كل ذلك مقابل اتاعة يجعلها لهم في كل سنة

ثم انه اعتنى بشان المدينة فامن اهلها واصلاح معاشهم

وانه كذلك اذ زحف اليه مالك المهدية تميم بن المعز . فحاصر تونس اربع اشهر

وضايق عليها الخناق

فاستعد ابن خراسان لمقاومته

ثم انه صالحه فاقلع عن الحصار

وكان لعبد الحق ولد ذو عزيمة قوية واقدام نادر

فما عثم ان ظهر نبوغه واستقل بالامر في العاصمة

فسأله ابوه . وخافه عمه اسماعيل بن عبد العزيز بن ابي خراسان . ففر الى بنزرت

ثم ان احمد اقبل على العاصمة . فبنى اسوارها . وبنى جامع القصر وبنى القصور الموجودة

الى اليوم بنهج سيدي ابي خراسان

ونزع احمد الى التخلق بسير الملوك والخروج عن سيرة المشيخة . واشتدت وطاته .

وكان من مشاهير رؤساء بني خراسان

فاستبد بتونس لاول المائة السادسة وضبطها وعامل العرب على اصلاح سابلتها .

فصلحت حاله وكان مجالسا للعلماء محبا فيهم حتى احطاط به منهم جماعة كثيرة

وقصدوه الشعراء فمدحوه واطنبوا في مدحه وكون لنفسه بلاطا يناظر بلاطات

ملوك ذلك العصر

فلما رأى علي بن يحيى ملك المهدية اشتداد شوكته وتقوى نفوذه خافه
فنازله سنة ٥١٠ وضيق عليه
فدافعه باصلاح غرضه

* * *

ثم ان ملك بجاية خاف احمد بن خراسان . فارسل اليه جيشا غلبه واتى به الى بجاية
وظهر عدة ملوك بعده من بني خراسان نخص بالذكر منهم عبد الله بن خراسان

* احتفالات الخلدونية *

احيت هاته الجمعية في عامها هذا سنة قديمة وهي اقامة حفلات لتوزيع المكارم
على نسوان تلاميذها وقد كانت الحفلة التي اقيمت لهذا الغرض رائقة حضرها جسم غفير
من اهل الادب والعلم وافتتحها رئيس الخلدونية الاستاذ عبد الرحمان الكعاك بخطاب
قيم بين فيه فائدة الخلدونية وما اتته من جلائل الاعمال وكيف كانت النواة الحقيقية للنهضة
التونسية وقد قوطع خطابه مرارا بتصفيق الاستحسان الحاد وعقب ذلك وزعت الشهادات
على اربابها والجوائز على مستحقيها وتفرق القوم وكلهم السنة شكر وثناء عن هذا العمل المحمود
كما اقامت ايضا حفلة تابين لقميد الادب المرحوم السيد محمد المويلحي افتتحها
الاستاذ الرئيس بخطاب بديع المع فيه الى حياة الاديب في الشرق وما يقاسيه وبين الفرق
بين الرجل الكبير في الشرق والرجل الكبير في الغرب وكيف يموت الاول وهو خامل
الذكر حتى قل بيننا الناهضون وكيف يجبل الغربي وتشاد باسمه المدن وتقام له التماثيل
وبعد ان ابدع في هذا اليا ب اخذ في تقديم الشعراء الذين حضروا الحفلة لتابين فقيد
النثر وهم الاساتذة النبغاء الشيخ العربي الكبادي استاذ تاريخ الادب العربي بالخلدونية
والاستاذ بلحسن ابن شعبان مدرس اللغة العربية بالخلدونية وشاعر الشباب السيد عبد
الرزاق كارباكه وبعد ان انشد هؤلاء النبغاء قصائدهم اعطى الكلمة للاستاذ النابغ السيد
الفاضل ابن عاشور فقام بمحاضرة انيقة في حياة المويلحي وادبه وهما نحن ننشر جميع
ذلك افادة للعموم

خلاصة محاضرة النابتة السيد الفاضل ابن عاشور عن محمد المويلحي

أسرته

محمد بن ابراهيم المويلحي من أسرة تجارية وطنية كانت تعيش في نعمة وبذخ
والداه ابراهيم المويلحي من ابطال النهضة الادبية بهصر ارتحل الى الشرق والغرب
وترك اثارا كبيرة بجرائد عصره علاوة على الجرائد التي انشاها بايطاليا وباريس ومصر
وهو مؤلف كتاب (ما هنالك) الذي تناول فيه المايين الهامايوني بنقد جريء وكان
مركز العائلة نبيلها من الامة بحيث يقف على نواحي العيشة المصرية باجمعها فقد كان
اصدقاء بيت المويلحي ورواد فضله من الامراء والكبراء الى الرعا والسوقة

مولده ومنشأه

ولد سنة ١٨٥٨ في هذا الوسط ونشأ فيه وقام على تثقيفه والدته المتقد شعورا الملان
معرفة بما املت له سفراته واستطلاعاته في الشرق والغرب ففتح عينه في جو شعور
وتفكير وبدا من خلال حياته العائلية يمارس امته في نواحي الحياة كلها

ولما تاهل لطور التعلم الابتدائي زاول تعليمًا بيتيًا ذا برنامج خاص يوافق مناهج
التعليم الازهرية ويتوسع مع ما كان يدرك والدته ضرورته للحياة الجديدة من العلوم
الخارجية عن ذلك ثم دخل الازهر وتعرف فيه بالاساذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه
الله وانشا الحديوي اسماعيل مدرسة الانجال فانخرط في سلك ابنائها فاكتملت فيها ثقافته
وكان يتردد خلال ذلك على مجدد الشعر العربي البارودي والاستاذ الامام الشيخ محمد
عبده واللغوي الحافظ محمود التركي الشنقيطي

فكان يجيد التركية والفرنساوية وحظه من الايطالية غير يسير وبرع في العلوم
الطبيعية بفضل مدرسة الانجال وكانت ثقافته العربية حية اخذت عن مجدي العصر
ونافخي روح الحياة فيه فبفضل هؤلاء الثلاثة يعترف المويلحي في مقدمة حديث عيسى
ابن هشام ويصرح بأنه اخذ عنهم

حياته الاجتماعية

ما اتم المويلحي عهد تعلمه حتى دعي للوظائف فتوظف اولاً في الحقانية ثم عزل بمناسبة اشتراكه في الثورة العربية وشارك في تحرير جريدة مرآة الشرق التي انشئت عقب الثورة بباريس وبمناسبتها انعقدت بينه وبين السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله صلة التلميذ بالاستاذ واكبر دليل عليهما المكتوب النفيس المصدر به حديث عيسى ابن هشام من خطه الشريف ومن ذلك التاريخ اقبل على الصحافة فحرر في المؤيد والاهرام والمقطم وكبريات الصحف الشرقية وفي ١٣١٥ انشأ والده جريدة مصباح الشرق فتفرغ لمشاركته في تحريرها ثم انفرد بتحريرها بعد ان اعتزل والده الحياة العامة

وفي اثناء ذلك كان يتردد على نادي الاميرة نازلي ابنة مصطفى فاضل باشا اخ الخريوي اسماعيل وصاحب الرسالة الشهيرة « من امير الى سلطان » فكان يجتمع فيه بالشيخ محمد عبده والشيخ علي يوسف وسعد زغلول وقاسم امين وغيرهم من قادة النهضة المصرية ثم عين مديراً للاوقاف

وفي سنة ١٩١٥ استقال منها فبقي يتمتع بالعزلة في العلم والادب حتى اصيب بالفالج من عهد قريب ثم استأثرت به رحمة الله ليلة عيد الفطر من هذه السنة

النهضة المصرية

ادبه - نشأ المويلحي في عهد اضطراب وثورة فكرية فقد كان الاضطراب سائداً بمصر من نهضتها التي اعقت تخدر مدة تنيف على الخمسة قرون يوم دخلها الجيش الفرنسي فقامت لجان الحياة المصرية القديمة حياة اروية فرنسية ناشطة بهجرات الفرنسيين اليها وفتح المصريون اعينهم على تلك الضوضاء فادركوا ما هم عليه من التاخر وفهموا تاكد المبادرة الى مقاعد الحياة الحققة والنهضة الصحيحة ويمكن سبل الوصول سدت في وجوههم

حتى اذا تولى امرها القائد العظيم محمد علي انبث في النفوس بعض اليقضة تبينوا منها طرق العمل فاذا هم يتخبطون في ظلمات مهولة ويجتازون فيافي مهلكة فكانت

حالتهم هذه درجة زائدة في التقدم نحو الرقي المقصود ولكن زاد بها الاضطراب اذ أصبحوا يتحركون في غير هدى شاعرين بضرورة الوصول وتشعب المسالك والزمان يتقدم بهم خطى فسادا نحو هوة الاضمحلال

نعم بدأت البلاد تحس بنوع من السكينة والراحة وتذوق طعم العزة القومية بنصف الاستقلال الذي حصات عليه والقوة التي وقفت بها في وجه تركيا وبدأت انوار تشع من نحو المستقبل بالبعثات العلمية التي وجهت لاروبا والمدارس التي اسست بمصر على الطرق المستحدثة ولكن جميع ذلك لم يكن بالذي يؤثر في الحالة امرا عظيما او ينقص من قوة الاضطراب فكان ما لاح من بروق الامل غير كاف لاستبدال نفورهم وضجرهم مما هم عليه حتى ان البذرة التي بذرها اسماعيل في مدة حكمه قد سبقها تكامل الاضطراب وغليانه فلم تنبت غراسها الا بعد العاصفة

الثورة العراقية

لم تكن الثورة العراقية في حقيقتها نتيجة فكرة اصلاحية معينة ولكنها كانت مظهرا طبيعيا لذلك الاضطراب الفكري والاتجاهات المختلفة لذلك كانت افكار قادتها متباينة تباينا غريبا صرح به الزعيم المرحوم مصطفى كامل في كتاب المسألة الشرقية منهم انصار الاستقلال المصري ومناوأة الترك ومنهم انصار الجامعة العربية والالتفاف حول الخلافة فكانت في الواقع فرصة اغتنتها المفكرون لمواجهة الامة لما لديهم من برامج الإصلاح في حال تطلعها حتى ان كثيرا من ابطالها لم يكونوا يدينون لقائد الثورة احمد عرابي بواجب القيادة بل بعكس ذلك كان منهم افراد يسخرون من مبداه ويحتقرونه مثل مترجمنا محمد المويلحي فقد قال في احدي مقالاته المدرجة بمصباح الشرق انه لا يرى في عرابي الا رجلا دفع به الظروف لما لا يستطيع فعجز عن التخلص من شباك السياسة التي مدت لاقتناصه

رجال الإصلاح

لا ينافي ما عليه مصر من التأخر والضعف ان افرادا ممن رزقوا مواهب عالية او تمكنت لهم ثقافة اضاءت لا بصارهم سبل الهداية للنهضة يبدؤون العمل للإصلاح

فقد طمى على مصر وهي في حالتها تلك سبل من الحكمة بياض لما نزلها السيد جمال الدين والتفت حوله نخبة تقاسمت وجدة العمل الاصلاحى بمصر من افرادها اولئك الذين كان يضمهم نادي الاميرة نازلي وقد سهجت للمويلحي قيمته الشخصية بالانضمام للافراد المصاحين والاجتماع بهم في ذلك النادي الرفيع حيث كانت تنطرح فيه الافكار القيمة حول النهضة المصرية

الاستاذ محمد عبده في اصلاح الدين واللغة والتعليم والمصالح قاسم امين في اصلاح المرأة وحياة العائلة والزعيم سعد في شعور الامة وروحها الوطنية واصول عيشها القضائية والسياسية فكان ذلك ساحما لمحمد المويلحي بالاشراف على الحياة المصرية من كافة نواحيها وكذلك كان شأن هذه النوادي في تاريخ الآداب لم تزل مبعث نهضات ومنظم اتجاهات فكرية يجد فيها المجددون حمى منيعا لحراسة افكارهم حيث يتحسسون رقة الشعور واللطف تشرف على عملهم وتفتح صدرا رحبا لعصارة قوايحهم

حالة المجتمع المصري عموما

كانت مصر في هذه الآونة قد بدأت تعمل لما ارادت من احداث مدنية عصرية تستبدل بها الحالة القديمة حتى يتسنى ان تستبدل عقليتها المتأثرة بتلك الحياة البالية بعقلية جديدة صالحة للعمل في هذا العصر ولكن اضطرابها القديم لم يفارقها في عملها رغم انتباهها ونشاط ظروف سياسية اعترضت طريقها في المسير زيادة عما ينتاب الامة في خاصتها من عوامل الجذب والدفع

مظاهرة الادبي

يعتبر المويلحي في عمله الادبي مكملا للنهضة الادبية التي بدأت من عهد محمد علي فلذلك وجب ان نلمح بنظرة الحالة الادبية في عصر النهضة الاول حتى نتبين عمل الاكمال الذي قام به المويلحي

كان الادب العربي في عصر النهضة قد باغ منتهى درجات الانحطاط بسبب نزول الحكم التركي على مصر الذي استبدل عزتها بذلة واضطهاد وقتل اللغة العربية وانزل على القرائح كابوسا من حكم السيف واقام بين اهل العلم وموارد اللغة الراقية

والاداب العالية سدودا وعدمت اللغة سوقا لرواجها بزهادة اهلها فيها اذ اصبح غيرها
 اللسان الرسمي حتى بعد بهم ذوقهم عنها فاستنكروها
 ولما وفد محمد علي كان من العمل الاول الذي دعت له النهضة احياء اللغة العربية
 فالتجهدت قوة شخصيات ادبية عديدة لتجديده ولكنهم لما نظروا الى ما حولهم من الادب
 الراجح لم يجدوه خليقا بان يدعى ادبار يكاد يكون ليس باللغة العربية اصلا
 اما النشر فكان على قلته وضيق اغراضه يقوم على تراكيب معادة مغسولة لا اثر للفن
 فيها ولا يكاد كاتبها يستطيع ان يعرب عن مرادة يتبعون فيها اثر الطريقة الفاضلية من
 الميل لاجتماع البديع ولكن البراعة عندهم في اللفظ والعناية انما تنصرف له
 واما الشعر فقد بلغ ايضا منتهى ركنه وسماجته فكان لا يعدو الاغراض القديمة
 والمعاني الفقيرة من الخيال لا يخالف النشر الا في الوزن يكاد يكون قاصرا على خدمة
 ركاب الامراء ومديح الاولياء

فلم يكن عمل رجال النهضة الاولين رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وغيرهم لانشاء
 ادب جديد يصلح لان يكون ادب النهضة بل كان عملهم لبعث الادب العربي القديم
 حيا متينا بعد موته ليتولد عنه بعد ذلك ادب جديد يترنم باحساس هذه الحياة الناهضة
 فلم يكن ادب النهضة الا نهضة في الادب القديم استعاد بها عهد زهرته الاولى
 نعم نشأت اغراض جديدة قصر الادب القديم عن الوفاء بها كالصحافة فنشأت
 طريقها الخاصة بها في احتراز عظيم وتقدير للضرورة بتقديرها
 اما النشر الفني فقد كان حظه ضعيفا من النثر بالعصر ذلك لان العمل كان مركبا
 بداوا بنصفه الاول وتركوا نصفه الآخر لعمل النهضة المتلاحق وهو النصف الثاني الذي
 اكمله شوقي في شعرة ومحمد المويلحي في نثره

حديث عيسى ابن هشام

الاثر الوحيد الذي لدينا من النثر الفني للمويلحي هو حديث عيسى ابن هشام وهو
 كاف في تنوع موضوعاته لدراسة ادبه وخياله
 هذا الكتاب بمنزلة بين المقامة والقصة ليس هو القصة في اساليبه كما انه ليس المقامة

في اغراضه بعد به صاحبه عن اسلوب المقامات القديم ولكنه لم يوفق لاحيائه بالقصص الروائي في اكمل مميزاته ينحو نحو كتب النقد الاجتماعية كالرسائل الفارسية لونتيسكو وهو اذن في غرضه بين ثلاث مؤثرات المقامات. الروايات. كتب النقد الاجتماعي فكان طاحنا بهذه المؤثرات جميعا على تباعد اساليبها وتباين مميزاتها

طريقته الانشائية

لم يكن من غرض هذا التجدد الادبي خلع سلطان امتد على اللغة من تراثها القديم والثورة على اساليب استحكمت في الانشاء والتجتمت باللغة فلم يكن عمل الموياسي في الادب ليظهر الا في دقائق ومميزات. هو ادب جديد يتاثر بهذه الحياة الجديدة ولكنك لا تزال تلمح في جميع نواحيه ذلك الادب القديم جائلا لا يسمح له بالظهور الا بمقدار

من اهم ما يتميز به حديث عيسى ابن هشام مباغتته في التدخل للنفسيات بالتجليل الذي اكبر مظهره التكلم على لسان اشخص الرواية وقد ابدع الموياسي في ذلك بجعله الكلام على لسان كل بطل متناوب مع منزلة مثله الحقيقية من انفساحة والبيان فقد انتقد ادباونا قديما على الحريري انشاء تلك المقامات بكلفها وبديها على لسان بدوي جواب آفاق لا يمكن ان يتكلم به. مثل ذلك الاسلوب اما عند التخلص من تلك المواقف والانطلاق في التحرير بالحكم على المنظر او تصويره فقد كان يلتزم الوضوح في تراكيبه لدرجة لم تعهد لها العربية قبله يجمع لمائة التركيب سهوله ويتنقل بين السجع والترسل وقد كان السجع قبله يكاد يكون الميزة المطردة للمنشآت الادبية اما هو فقد حافظ عليه في مواضع لم يؤدبه في احد منها الى التيقظ باللفظ ولم يضطره الى اخضاع المعنى له او ابهامه من اجله وقد كان ميالا للزخرف اللفظي والسجع عند قصد تصوير المنظر او غير ذلك مما يدعو لاستحضار احساسات القراء رانما عنه عند قصد الاطراء في البيان الذي يتخذ العقل رايدا لان هذه النفوس الناشئة لما يستقر امرها ولا تزال عوامل القدم مؤثرة عليها فاصبحت غريبة في عقولها شرقية في احساسها

اما في افكاره فقد كان الكتاب ادب ذلك العصر ومظهر اضطرابه يحاول توجيه الافكار لنواحي مخفلة من الحياة كان المؤلف قد درسها حق الدراسة بلا سبب التي مرت بنا وكانت آثارها جميعا واضحة فيه اشد الوضوح

مصباح الشرق

من امهات الصحف الشرقية في نزعة التجديد الادبي فقد صارت الصحافة قبلها
بكثير غرضا جديدا من اغراض الادب ولكن طريقة الانشاء الصحفية لم تنضج الا مع
نشأة مصباح الشرق بمقالات محمد المويلاحي

بدأت حينئذ تسلك المقالات منهجا جديدا نحو الفكر العام يقوم على البرهان
العقلي ويقرب بها من الخطابة وبدأت تنهج من سهولة اللفظ وبساطة التركيب ما يجعلها
متناول عموم الطبقات مع المحافظة على طريق الدقة القديم ومتانتها لا تزداد الا الى
الامام

فاثر المويلاحي في جميع نواحي النشر العربي قد كان عظيما فيما اكمل به عمل
النهضة الاول كما فعل شوقي في الشعر فشوقي بعد البارودي وهو بعد ابيه ابراهيم

قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ الكبسادي

اخلاي ان الشرق قد مات كاتبه * وقامت على فن البيان نواديه
فلم تبق عين لم يفض مأوها اسى * ولم يبق قلب لم تضاعف مصائبه
تهدم فن النشر بعد محمد * فلا نشر الا قد تداعت جوانبه
بليغ يريك انقول درا منضدا * فتلهيك من سحر البيان عجائبه
فصيح اذا الخصم العنود تعامت * دلائله صالت علميه قواضيه
توقد ذهننا حين سال فصاحة * كما شب برقا حين سالت سحائبه
تسلو ذع حتى تحسب الافق منشا * به قد نشا والزاهرات حباحبه
له القلم الاعلى الذي لهريره * على الطرس تاثير يعولك جانبه
فمصباحه بالشرق قد كان مشرقا * به تنجلي احزانه وغياهبه
ومن كان في فن الكتابة نابغا * فكل امرء يهوى الكتابة ناديه
لهذا اجتمعنا نندب اليوم كتابا * تسامت الى اوج النبوغ مواهبه

ونذكر من عائرة الغرما به * تحلت من الذوق السليم ترائبه
يحدث عن عيسى فيحيي حديثه * موات نفوس كدها ما تحاربه
ويحدث فيها النبل والحزم والحيا * ويرشدها للشر كيف تجانبه
فقد صور الاخلاق تصوير عارف * مرأى الامور الخافيات تجاوبه
عجبت لسكان الكنانة ما لهم * سكوت وهذا الخطب قد جل ناصبه
وما بال شوقي وهو شاعر قطرة * وكاتبه في كل وقت وخاطبه
وكيف الاسى لم يشحذ اليوم ذهنه * فتظهر من سر القريض عجائبه
فتى الشرق ان نندبك نندب مهذبا * تعاق بالاداب مذكر شاربه
فقومها حتى استقامت قناعاتها * وبانت بها اخلاقه ومنابعه
ولم ينبت قد شيئا بغير تبصر * به يدرك الامر الذي هو طالبه
اذا غاص في بحر التامل فمكره * فقل ادرك الدر الذي هو رغبه
فقد نك شمس الشرق علما وحكمة * ورايا سديدا لا ترى من يناصبه
وكنيت لنا نجما نروع به الدجما * زمانا حبا بعد الاشارة ثاقبه
هجرت النوادي قبل ان تنجر الدنا * كانك لم تظفر بخل تصاحبه
واصبحت حاس الدار مستانسا بما * تشاهد من حال الورى وتراقبه
الى ان اتاك الموت في حين غفلة * لقد هاب منك المرت ما هو هائبه
لذاك ارتدى من حالك الليل حلة * كمن يخشي في فعله من يعاتبه
وكان لكم في هذه الارض ماتم * وفي الخلد عيد قد تسامت مراتبه
فهم آمنوا واعلم اذا زال شخصكم * فما زال في الاسفار ما انت كاتبه

قصيد الشاعر المابغ الشيخ باحسن بن شعبان

بكى عليك الحجا والفضل والادب * يا كوكبا سترت انواره الحجب
وانبت حزن يذيب القلب تنشرة * في يوم ماتك الاشعار والخطب

قد كان موتك للاداب مرزأة * بهما تبدت على آفاقها بسحب
 لا كان عيد به وافى النعي لهما * ينعاك والدمع في الآفاق منسكب
 لما نعاك نعي فضيلا ومقدرة * وفكرة ضوءها ما كان يحتجب
 وبث في تونس الحزن العميق وقد * باتت عليك بها الاقلام تستجب
 ايا فقيده فقدنا يوم مدفنيه * بلاغة ما روت امثالها الكتب
 قد فزت بالقلم الاعلى الذي بهرت * آساره وبدا منها لهما العجب
 تجريه في الطرس مختالا فيلفظ من * فكيف عذب يمان دونه الضرب
 جردته ذائدا عن كل مكرمة * وداعيا مستجشا للذي يجب
 محمد يسابن ابراهيم انك قمد * حوت مرتبة من دونها الرتب
 ونات في تقدمك الاخلاق مقدرة * ما نالها احد من بين من كتبوا
 كم في يرائك من سحر فتنت به * منا النفوس وكم زالت به كرب
 قد كنت مصباح شرق تستضيء به * بين الغياهب في انظارها العرب
 كففاك فخرا من الايام انك قد * صغت الحديث الذي انجابت به الريب
 قصصت فيه على قرائه حليها * هو الحقيقة لا هزل ولا كذب
 اظهرت فيه عيوب الناس مرتجيا * ان يستقيموا وان يعاوا لهم ادب
 بصرتهم باندي قد كان يقعدهم * عن امتطاء المعالي وانجلي السبب
 ابنت للغممة الحمقى ضلالها * حتى رات كيف ضاع المال والحسب
 كم كنت تبذل جهدا لا تريد به * سوى الصلاح الذي في نيله الارب
 فم كان موتك خطيبا لا عزاء له * هوت به من سما آدابنا شهب
 فدم برمسك نوم الحامد مغتبطا * فسوف تذكرك الاجيال والحقب

قصيدة شاعر الشباب الاستاذ عبد الرزاق كركباكه

شعلة الراي وطرار الكلام * لفظة للشرق فالشرق اضطرام
 ما عهدناك خفوتنا سايكنا * تستبيح الصمت في هذا المقام

هيا يا خطاب قل ما ترتقي * ان هذا الشرق قد انضى المقام
وقديما كنت في اوطانه * آية الفكر وجبار المهام !
وكذا عاودت ايهابي به * فاذا المنطق لا يبدي كلام
واذا الندب الذي ناديت به * ينزل اليوم على حكم الحسام
عاش ما عاش عظيمها عملا * ينشر الرشد ويدعو للوئام
وكذا في فقرة قد طويت * صفحة غرا ومنسوب هم !
يا نبوغا صم في انسانيه * يا خلاء جل في نادى العظام
يا يراعا كان يسمو فعله * في لباب الذوق عن فعل المدام
هو ان شئت صفاء ووفاء * وهوان شئت سهوم وسهام !
نكبة انتهت حياة ملوها * بمقريسات واثار جسام
وبها حطم مصباح الدجى * وانتهت سورة « عيسى ابن هشام »

* * *

اسي الاخلاق من ادوائها * منشد اليقظة في الصم النيام
اترى بسعيد جهاد قتاتل * ناجح طبك في تلك السقام ؟
فسرى الشرق كما نهوى له * مقعد العزة ما بين الانام
ساعة البعث التي قدرتها * ابطات والشرق مخفور الذمام
طلب الانجاد من اعلامه * فاذا هم اصل ذيك الكلام
الحفوا في غيهم واستنكروا * كل محدث وعسيرة اجترام
فاذا اتلع فيهم يقض * سدودا نحو مراميه السهام
فانشئنى الشرق الى نشاته * نجمة اليوم وابناء الامام
الى كان لهم من عصرهم * روح صدق واهتمام والتحام
فاذا هم في غرور حالك * واذا آماله فيهم عقام
ذاك لولا فئة من بينهم * هزهم من غيهم بعض اهتمام
قال فيهم قائل يا قومنا * انما العيشة في الزل حرام
فاهدوا في عزة من امرهم * يحملون الروح للشرق المضام

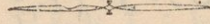
بشارك الله لهم نهضتهم * بشارك الله لهم هذا الوئام
 انت يا عيسى الذي احببتهم * وبهم اشعلت هذا الاضطرام
 نقدك البلاذع في اخطائهم * اوقد العزة فيهم للقيام
 انت للسحق وللتاريخ في * عصبة التجديد قد كنت الامام
 فلقد علمتهم معنى الحيا * لا وقد علمتهم معنى النظام
 ولو امتد بك الجهد اذن * لرايت النشأ في اسمى مقام
 انه اليوم مهم جلائش * العلاء حيث مقام الاحترام
 يطرح الشك ويلوي ساخرا * عن اظالميل رعات قدام
 يهدم البالي وعن انقاضه * بيتني العالي بحزم واعتزام
 تلك اشارك بسدا وعلى * هاتمه الاثار ازمت الختام

ايها المرموس في حفن العلاء * ايها المرسوم في لوح العظام
 نم فقطد لزامنا هكذا * غاية المرء الى هذا المزام
 نم فقد ابلت في الاجهاد ما * زين الحق وما ارضى الذمام
 صوتك الرنان في خير الدنيا * عاليالا زال ماثور الكلام
 رايتك المسموع في نقد الهوى * فانتك التماثيل مشروع الحسام
 سميتك المشكور في سبل الهوى * ليس يعفى اثره بين الانام
 فاهنا اليوم منامنا روضا * في جناب الحق في دار السلام
 تلك اشارك في الشرق لدى * حكم التاريخ اثار جسام
 واذا مت ستحيي بيننا * مثلا من مثل الابطال سام



(*) الجاذبية العالمية للأجرام السماوية

للكاتب القدير الاستاذ السيد الهادي الكسوري مدرس علم الفلك بالخلدونية



ثبت في علم الهيئة ان الارض جرم كروي سابح في الفضاء ويدور حول الشمس كبقية السيارات على مدار هيليبي الشكل (*) يقطعه في مدة سنة اذا كانت الارض هاته حالتها من حيث الشكل والحركة فهل هناك قوة تمسكها في طريقها الذي تخطه بصورة منتظمة ودائمة في السماء بين الكواكب من دون ان تحيد عنه ؟ نعم . هناك قوة حاكمة في الارض وفي بقية السيارات باتباع مداراتها حول الشمس بل وفي جميع الاجرام السماوية على الاطلاق . وهاته القوة هي المسماة « الجاذبية العالمية » والفضل في اكتشافها يرجع الى العالم الانكليزي اسحاق نيوتون

في سنة ١٦٦٥ كان المذكور في الثالثة والعشرين من عمرة جالسا في بستانه في ليلة مقمرة يفكر اذ سقط امامه تفاحة من شجرة . فهذا الحادث الاعتيادي البسيط لو مر امام غيره لم يكثر به لكنه الفت ذكاء نيوتون ودعا الى التفكير والنظر في هاته القوة العجيبة التي تجلب الاجرام نحو الارض وقال في نفسه (لماذا اذا لا يسقط القمر على الارض مثل التفاحة ؟)

وبادمان النظر والتأمل توصل الى اعظم المكتشفات التي تخلص فخر العقل البشري الا وهو قانون الجاذبية العالمية الذي صار فيما بعد قاعدة اساسية لجميع نظريات علم الهيئة الحديثة (*). وهالك سلسلة المفكرات التي انتقل بها نيوتون من الثقالة الارضية (*)

* هذا الفصل اتحفنا به صديقنا الفاضل الاستاذ السيد الهادي الكسوري الذي قام بعدة مسامرات في علم الهيئة بمعهد الخلدونية في العام الفارط وهو من فصول كتاب له في علم الهيئة الحديث لا زال صديقنا المذكور بهد اتمام تاليفه نسال الله له الاعانة على ذلك .

* الشكل الهيليبي هو الذي صورته كصورة بيض النعام وله قطران اعظم واصغر ونقطة تقاطعهما بالتعامد تسمى المركز وكل نقطة على قطره الاعظم سواء كانت على يمين المركز او على يساره تسمى المحترق . فالسيارات ومن جملةها الارض تدور حول الشمس على مدارات هيليبيية الشكل والشمس في احد المحترقين الايمن او الايسر لا في المركز

* الثقالة الارضية هي القوة التي يجذب بها مركز الارض جميع الاجرام نحو صورة عمودية وهي في الحقيقة مظهر من قوة الجاذبية العالمية لكن اصطلاح علماء الهيئة على تسميتها بالثقالة اذا كانت على سطح الارض وبالجاذبية العالمية اذا كانت بين الكواكب .

الى القوة التي تتحرك بها الكواكب .

ان قوة الثقالة التي تسقط الاجرام نحو الارض لا تظهر بالقرب من سطحها فقط بل توجد حتى فوق الابنية الشاخنة وفي رؤس الجبال الشاهقة من دون ان يظهر فيها نقص محسوس بسبب البعد عن سطح الارض . فمن البديهي اذا ان توجد ايضا على المسافات البعيدة كثيرا عن الارض . فلو فرضنا ان جرمنا يبعد عن مركز الارض بمسافة قدرها ٦٠ مرة طول نصف قطر الارض (٦٣٦٦ كم) اعني على بعد يساوي المسافة بين القمر والارض فان قوة الثقالة الارضية تلاحقه ولا تضعحل باشتداد البعد قال نيوتون اذا ليست هساته افوة ذي الممانعة للقمر من ابتعادا عن الارض وابقته في مداره حولها ؟

وقبل ذكر قانون الجاذبية والدخول في شرحه نذكر مسألة من علم الميكانيك يتوقف عليها فهم الموضوع :

لكل جرم مادة وثقلة واثقال الاجرام تتغير بخلاف مادتها فكمية ثابتة واليك البيان :
مادة الجرم هي كمية الاجزاء المتركة منها كيفما كان نوعها من ذهب . حديد . نحاس فضة . رصاص . حجر . خشب الخ فاذا كان الجرم في حال السكون فان كمية الاجزاء المتركة منها تديمية في تلك الحال بسبب فقد الحركة . فان حدث قوة تريد نقله فانها تحركه بدرجة من الصعوبة بقدر المقاومة التي تصادمها من كمية مادته . وقد ضبط (بواسون) احد علماء فن الميكانيك معنى المادة بانها « المكرر (*) لمقاومة الحركة »

فاذا سلطنا على جرم واحد قوات مختلفة الشدة نشير لها بالحروف ا . آ . أ فان كل قوة تحدث به حركة متزايدة السرعة . انظام كما سنبينه قريبا . والنسبة بين السرعات الى القوة الناشئة عنه كمية واحدة حسبما يرهمن عنه في علم الميكانيك وايدته التجربة . اي اذا اشرنا الى السرعات بالاحرف ح . ح' . ح'' . فيكون $ح' / ح = أ / ح = آ / ح = م$ فهاته الكمية الثابتة يسميها علماء الميكانيك بمادة الجرم ويشار لها باحرف م

* المقصود بالمكرر هو المعنى المستعمل في علم الجبر مثل : س فالرقم ٤ هو المكرر للكمية س

﴿ قانون نيوتون ﴾

« قوة الجاذبية بين جرمين هي على نسبة مطردة لكمية مادتيهما وعلى نسبة معكوسة لمربع المسافة بينهما »

اي ان قوة الجاذبية تشتد بزيادة المادة وتضعف بازدياد البعد بين الجرمين بنسبة تساوي حاصل ضرب كمية البعد في نفسها . فاذا فرضنا وجود جرمين على بعد متر واحد من بعضهما ثم وضعناهما على بعد مترين فان قوة الجاذبية التي كانت بينهما في الوضع الاول تنحط في الوضع الثاني الى ربعها فاذا وضعناهما على بعد ٣ امتار تنحط قوة الجاذبية الى $\frac{1}{9}$ مقدارها في الوضع الاول واذا وضعناهما على بعد ٤ امتار تنحط قوة الجاذبية الى $\frac{1}{16}$ بالنسبة للوضع الاول وهام جرا . لان $2 \times 2 = 4$ و $3 \times 3 = 9$ و $4 \times 4 = 16$ فقوة الجاذبية تنحط اذا بالنسبة $\frac{1}{\text{مربع المسافة}}$ فمهما وضعنا جرمين بالقرب من بعضهما الا وحدثت بينهما قوة جاذبية على نسبة هذا القانون

اذا كانت قوة الجاذبية موجودة بين جرمين اقتربا من بعضهما فلا اذا لا نشاهد هجوم احدهما على الاخر وحصول الالتصاق بينهما مثلما نراه يحصل لبعض المعادن عند اقترابها من الفولاذ المغنطس ؟

الجواب اولاً - ان قوة الجاذبية فوق سطح الارض ضعيفة جداً . وقد حسبها علماء الطبيعة بادق الاساليب بين جرمين مادة كل منهما تساوي سائمتير مكعب وعلى مسافة سائمتير واحد من بعضهما فوجدوها تساوي $\frac{75}{1000000000}$ من الوحدة العلمية للقوة الجاذبية والوحدة العلمية تساوي $\frac{1}{981}$ من وزن الغرام في باريس او ميلغرام تقريبا فظهر بهذا الحساب ان قوة الجاذبية بين جرمين مادة كل منهما تساوي سائمتير مكعب والمسافة التي بينهما سائمتير واحد ضعيفة للغاية القصوى اذ كانت تساوي $\frac{75}{1000000000}$ من وزن الغرام تقريبا . وسميت هاتئ النسبة بالوحدة الثابتة للجاذبية ويشار لها في العمليات الحسابية بالحرف g

ثانياً - لما كانت قوة الجاذبية في هاتئ الدرجة من الضعف فكل قوة معاكسة لها ولو

كانت صغيرة تمنع من ظهور أثرها بين أي جرمين . وبما أن كل جرم على سطح الأرض خاضع لقوة الثقالة الجاذبة للأجرام نحو مركز الأرض وهي أعظم من قوة الجاذبة بين الجرمين بكثير ومعاكستها لم يظهر لنا أثر قوة الجاذبية بين الأجرام على الأرض لكن إذا لم تكن هناك قوة معاكسة للجاذبية بأن كان الجرمين حريين أو كان أحدهما حراً فقط فآثر الجاذبية يمكن ظهوره وقد أثبتت التجربة ذلك

ومن المعلوم أن الأجرام السماوية حرة في الفضاء فلا مانع إذا من ظهور أثر الجاذبية بينها . وهي وإن كانت ضعيفة للغاية بين جرمين على سطح الأرض لكنها كبيرة جداً بين الأجرام السماوية ذات المادة العظمى . وبالرغم من النقص الذي اعتراها بسبب مربع المسافات الشاسعة الكائنة بين تلك الأجرام فهي على نسبة كمية مادتها العظيمة مثل الشمس والأرض

فقانون الجاذبية يمكن التعبير عنه بالمعادلة الآتية :

سبق أن الوحدة الثابتة يشار إليها بالحرف ك فإذا أشرنا للقوة بالحرف ق ولإحدى الجرمين م وم' والمسافة بينهما بالحرف س حصلت لنا المعادلة الآتية الناتجة عن القانون :

$$Q = \frac{K}{S^2}$$

أي أن قوة الجاذبية بين جرمين متساوي الوحدة الثابتة (*) مضروبة في كمية مادتي الجرمين والحاصل مقسوم على مربع المسافة بينهما . فجميع الأجرام السماوية ومن بينها الأرض متجاذبة فيما بينها على مقتضى هاته المعادلة

مركز الجاذبية - قلنا أنه إذا وضع جرمين بالقرب بعضهما تحدث بينهما في الحين قوة التجاذب . وبما أن ذلك أن كل جوهر من أحد الجرمين يجذب إليه جميع جواهر الجرم الآخر على خطوط مستقيمة في اتجاهات مختلفة وبهذا نتصور كثرة الخطوط الوهمية الواصلة بين جميع جواهر الجرمين كثرة يتعذر احصاؤها . لذلك لزم البحث عن نقطة من كل جرم تنحصر فيها قوة جاذبية جميع جواهره وتنبه في استقامة واحدة نحو نقطة مماثلة لها من الجرم الآخر وقد أظهر علم الميكانيك وجود هاته النقطة وسميت مركز

* تقدم أنها تساوي ٦٥/١٠٠٠٠٠٠٠٠ من الوحدة العلمية المساوية ١/١٩٨ من وزن

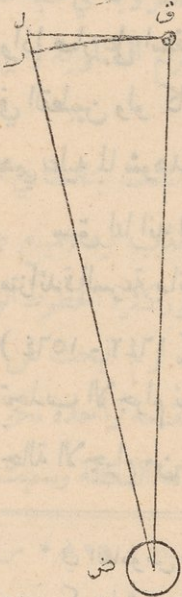
الجاذبية . لكن لما كانت للأجرام ابعاد وصور مختلفة فمركز الجاذبية يتغير بتبديل وضعية الجرمين من هيئة الى اخرى . وهذا مفهوم لانه اذا وضع جرمان امام بعضهما على مسافة معينة ثم وقع تبديل وضعيتهما او وضعية احدهما فان الجاذبية المتبادلة بين جواهر الجرمين تتغير بنسبة مضادة لمربع المسافات الموجودة بينها وهاته تغيرت بتبديل وضعية احد الجرمين واذا كانت المسافة بين الجرمين كبيرة جدا بالنظر لابعادها (الطول والعرض والعمق) وخصوصا اذا كان شكلهما كرويا فان جميع القوات الفردية لجواهرها تنحصر في نقطة مركزيهما الهندسية وهاته الحالة هي الواقعة بين الشمس وجميع الكواكب السيارة اذ كانت اشكالها كروية والمسافات التي بينهما عظيمة جدا . لكن اذا لم تكن المسافة بين الجرمين عظيمة جدا بالنسبة لكمية مادتيهما ولم يكن شكل احد الجرمين كرة تامة فان قوة الجاذبية بينهما تتغير بالزيادة والنقص . وهاته حالة القمر والارض فان المسافة بينهما تساوي ٦٠ مرة نصف قطر الارض كما قدمنا وشكل الارض شبيه بالكرة وقد شاهد الفلكيون اضطرابا في حركة دوران القمر حول الارض بالاقتراب تارة والابتعاد تارة اخرى وبه استدلووا في اول الامر على عدم تكوير الارض تكويرا تاما وعلى وجود تسطح في قطبيها وتبسط (هـ) في منطقتها الاستوائية . فعند ما يكون القمر على استقامة وسط الارض يقترب منها اعظم قوة الجاذبية عليه بسبب زيادة مادة الارض في منطقتها الوسطى واذا صار على استقامة احد القطبين يبتعد لضعف قوة الجاذبية بسبب نقص المادة الارضية في القطبين ولو كانت الارض كرة تامة او كانت المسافة بينهما وبين القمر اعظم بكثير مما هي عليه لما شوهد اضطراب في سير القمر

سبق لما انه اذا سلطت قوة على جرم ساكن تريد نقله فانها تحدث به حركة متزايدة السرعة بانتظام . هاته المسألة من مكتشفات (قاليلي) الفلكي الطلياني الشهير (١٥٦٤ - ١٦٤٢) م . فقد وجد بالامتحان والتجربة ان الثمالة الارضية في المحل الواحد تجذب الاجرام نحو مركز الارض بقوة مستحددة في الحصة الزمانية الواحدة كيفها كانت حالة الاجرام من حيث الحركة والسكون

* في القاموس ارض متبسطة اي بعيدة والمقصود بالتبسط ههنا زيادة بعد سطح الارض عن مركزها في منطقتها الاستوائية فصورة اخرجتها عن شكل كرة منتظمة

لترك جرما يسقط من نفسه من ارتفاع دون ان تسلط عليه قوة دافعة فانا نراه ينزل نحو الارض على خط عمودي اي متجها نحو المركز ففي انثناء سقوطه قوة الثقالة الارضية تزيد دائما في سرعة هبوطه بكمية ثابتة في كل ثانية مهما كانت المدة التي مضت على ابتداء السقوط واذا رمينا كرة بصورة افقية فانها تجري بسرعة متحدة على خط مستقيم لا نهاية له لو لم تجذبها الارض . وبسبب الثقالة الارضية تنزل الكرة بالتدريج الى اسفل الخط المستقيم المتجهة نحوه في مبدا الرمي . وكمية نزولها التدريجي في كل ثانية هي نفس الكمية التي تزايد بها سرعة هبوطها عموديا لو تركت من ارتفاع من غير قوة دافعة هاته القاعدة تنطبق تماما على القمر . ففي كل لحظة من سيرة حول الارض يمكن تشبيهه بكرة مرمية بصورة افقية . فعوض ان يتبع طريقه على خط مستقيم ينزل عنه بالتدريج للاقتراب من الارض راسما هكذا قوس مداره في شبه دائرة حولنا . فيسقط في كل لحظة حينئذ نحونا وكمية سقوطه في الثانية يمكن حسابها بسهولة وهالك بيان وجه العمل :

من المعلوم ان طول محيط الارض يساوي ٤٠ مليون ميتر وان المسافة بين مركز الارض وبين مركز القمر تساوي ٦٠ مرة طول نصف قطر الارض فطول مدار القمر حول الارض يساوي ٦٠×٤٠ مليون ميتر = ٢٤٠٠ مليون ميتر لان نصف قطر الارض لما ازداد طوله ٦٠ مرة يلزم محيطه ان يزيد طوله ٦٠ مرة ايضا لثبوت النسبة (٣١٤١٦) بين القطر والمحيط.



ثم ان القمر يقطع مداره في مدة قدرها ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية او في ٢٣٦٠ ٥٩١ ثانية . فاذا قسمنا طول مدار القمر ٢٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميتر على عدد الثواني نجده خارج القسمة ١٠١٧ ميتر وهو مقدار سير القمر في ثانية واحدة اي كيلو ميتر تقريبا .

لنفرض موقع الارض في ض والقمر في ق عند ابتداء سيرة بمقدار السرعة الذي علمناه فبدل ان يسير في اتجاه المستقيم ق

ل. الى غير نهاية سار في اتجساة القوس ق. ر. خضوعا للجاذبية الارض ولنفرض ان هذا القوس هو مسافة سيرة في الثانية اي طوله ١٠١٧ ميتر فاذا حسبنا البعد بين (ل) و(ر) نعلم الكمية التي ينزل بها القمر نحو الارض في الثانية

ومن المعلوم في فن الميكانيك ان الاجرام على سطح الارض تسقط بسرعة ٤٢٩ ميتر في الثانية الاولى ووسطح الارض يبعد عن مركزها بقدر نصف القطر فاذا اخذنا حبرا وابعدناه عن مركز الارض ٦٠ مرة اكبر من نصف القطر اي على بعد يساوي بعد القمر فان قوة الثقالة عليه تضعف بنسبة مربع المسافة طبقا لقانون الجاذبية. اعني $60 \times 60 = 3600$ مرة اقل من قوتها على سطح الارض فبقسمة ٤٢٩ ميتر على ٣٦٠٠ نجد مقدار سقوط الحبر او القمر في الثانية :

٤٩٠٠ ميليمتر : $3600 = 1353$ اي ميليمتر وثلاث تقريبا . فالحجر المرفوع الى بعد يساوي بعد القمر يلزمه ٦٠ ثانية او دتيئة كاملة لقطع ٤٩٠ ميتر ساقطا مع انه يقطع تلك المسافة في ثانية واحدة على سطح الارض .

لماذا اذا لا يسقط القمر على الارض بسبب تأثير الجاذبية عليه ؟ المانع من سقوطه قوة اخرى معاكسة لقوة الجاذبية ومساوية لها وهي الناشئة عن سرعة سيرة بحساب ١٠١٧ ميتر في الثانية . فلو فرضنا كرة او اي جرم كان رمي بتلك السرعة على ذلك البعد من الارض لرأيناه يفعل مثل القمر تماما . فهاته القوة الناشئة عن سرعة السير تسمى (القوة الدافعة عن المركز) وهي التي تدفع الحجر عن المقلاع وبقدر ازدياد سرعة دوران المقلاع في يد الرامي تزداد قوة الدفع شدة .

فالقمر اذا خاضع لقوتين متضادتين قوة الجاذبية تطالب اقترابه من الارض قوة الدفع الناشئة عن سرعة سيرة تقضي عليه بالابتعاد عنها ولما كانت القوتان متساويتين حفظ القمر موقعه على مداره في المسافة المعينة حول الارض .

ولنفرض ان القمر ينقطع سيرة يوما ما فماذا يحصل ؟ الامر واضح فان قوة الدفع تنعدم وتبقى قوة الجاذبية وحدها فيخضع لها القمر ويسقط على الارض في مدة قدرها ٤ ايام و ١٩ ساعة و ٥٤ دقيقة و ٥٧ ثانية . وانترك للقاري الكريم تصور الكارثة الموهولة التي تنتج عن اصطدام هاذين الكوكبين فسيبحان من عننا بجمل الطاقه .

عند ما حاول نيوتون البحث عن المقابلة بين قوة الجاذبية على سطح الارض وبين قوتها الماسكة للقمر لم يكن مقدار طول نصف قطر الارض معلوما بصورة ثابتة لذلك كانت نتيجة حسابه ان القمر يسقط نحو الارض بمقدار قريب من $\frac{1}{20}$ من البوصه في الثانية وهاته النتيجة وان كانت قريبة من الواقع لكن نيوتون لم يكتف بها اذ لم تتفق تماما مع ما كان ينتظره ولم يتبين له سبب هذا الخلاف الا بعد ستة عشر عاما . ففي سنة ١٦٨٢ م . حضر نيوتون جلسة الجمعية العلمية باوندن وفيها باغتته نتيجة قياس ابعاد الارض التي استخرجها الفلكي الشهير الفرنسي (بيكار) . ففي الحين اخذ نيوتون تلك النتيجة ورجع الى محله وشرع في اعادة العمليات الحسابية - التي كان اجراها منذ ستة عشر عاما - بناء على المعاومات الجديدة فشاهد ان ضالته المنشودة اخذت تتجلى بصورة مدققة كل ما تقدم في العمل ولشدة السرور بالنجاح حصل له انفعال منه من التماذي حتى رغب من بعض احبائه اتمام الاعمال الحسابية عوضه . فثبت عنده حينئذ ان القوة الماسكة للقمر في محيطه حول الارض هي نفس القوة التي تسقط الاجرام نحو مركز الارض لكنها ضعفت شدتها بنسبة مربع البعد طبق قانونه

وبما وجد هذا الفلكي العظيم بواسطة اساليب حسابية اخترعها ان كل كوكب سيار يدور في فلكه حول الشمس على مدارات هليلجية (*) خضوعا لقوة الجاذبية الموجودة فيها وان اعمار كل سيار تدور حوله خضوعا لقوة الجاذبية الموجودة فيه وان الثقالة على سطح الارض ليست الا حالة خاصة من مظهر قوة الجاذبية الكائنة بين الاجرام السماوية فظهر له بهذا عمومية الفكرة وهي ان الكواكب تدور في السماء اتباعا لقوة التجاذب الموجودة بينها . وسماها العلماء (الجاذبية العالمية)

وقانونها : ان الاجرام تجذب بعضها على نسبة مطردة لكمية مسادتها وعلى نسبة معكوسة لمربع المسافات بينها

قلنا في اول هذا الفصل ان لكل جرم مادة وثقلة والمادة كمية ثابتة بخلاف الثقلة فمتغيرة . ذلك لان الثقالة حالة خاصة بالارض ناشئة عن جاذبية مركزها للاجرام التي

* هاته المسالة اول من اكتشفها قبل تيتون العالم الالماني كيبلر في اوائل القرن السابع عشر وجعل لها ثلاثة قوانين تعرف الى اليوم بقوانين كيبلر نسبة له

على سطحها فكلما اقترب الجرم من مركز الارض زادت سرعة سقوطه بسبب ازدياد قوة الجاذبية عليه وبالتالي تزداد ثقافته . وقد وجد بالحساب والتجربة بواسطة رقاص الثواني ان مقدار زيادة سرعة سقوط الاجرام على سطح الارض في كل ثانية موابلة للثانية الاولى من ابتداء السقوط يختلف باختلاف عرض المحل

زيادة سرعة السقوط في الثانية بمسالتيمتر

٩٧٨٢٠٣٠

عرض . (خط الاستواء)

٩٨٠٦١٦

» ٤٥ °

٩٨٣٢١٦

» ٩٠ °

اي ان سرعة السقوط في الثانية الاولى فوق مساته العروض تساوي نصف المقدار المرقوم امام كل عرض لان السرعة في كل ثانية تقير ضعف ما كانت عليه في الثانية قبلها :

سرعة السقوط في اول ثانية

٤٨٩ سالتيمتر

عرض .

» ٤٩٠٢٣٠

» ٤٥ °

» ٤٩١٢٦٠

» ٩٠ °

ولاجل هذا اخذ المعدل ٤٩٠٢ سالتيمتر او ٤٢٩٠ ميتر لحساب سقوط الاجرام في الثانية الاولى على سطح الارض . فظفر بهذا الحساب ان اعظم زيادة لسرعة السقوط توجد على القطب (عرض ٩٠ °) واضعها على خط الاستواء (عرض ٠) والسبب في ذلك ان بعد القطبين عن مركز الارض اقل من بعدة عن دائرة خط الاستواء فنصف القطر الاستوائي للارض يساوي ٣٨٨٣٧٨٢٦٢ ميتر اما القطبي قطوله ٦٢٣٥٦٢٩١٢ ميتر فقط اي ننقص ٢١٤٧٦ ميتر لذلك كانت شدة الجاذبية للاجرام في القطبين اعظم منها في خط الاستواء وهذه السرعة للسقوط هي التي تحدد الفرق بين ثقله الجرم وكمية مادته فتقلته تساوي حاصل ضرب كمية مادته في سرعة سقوطه الناشئة عن الثقالة . وهي متغيرة كما علمنا

اما كمية مادته فتساوي حاصل ضرب حجمه في ثقله النوعي (كثافته)

اول من بحث عن مقدار كثافة الارض للتوصل به الى تحديد كمية مادتها العالمان

الحجم	المادة	الكثافة
الشمس	١٢٨٠٠٠٠	٢٢٤٤٠٠
المشتري	١٢٩٧	٣٠٩
زحل	٧١٩	٩٢
اورانوس	٦٩	١٤
نبتون (*)	٥٥	١٦
الارض	١	١
الزهرة	٠.٩٧	٠.٧٩
المريخ	٠.١٥	٠.١١
عطارد	٠.٠٥	٠.٠٧
القمر	٠.٠٢	٠.٠١

من هذا الجدول الذي وضعنا فيه السيارات مرتبة تبعا لحجمها يمكن لنا ان نعلم حجم كل سيار وكمية مادته بالنسبة للارض التي حجمها وكية مادتها معلومان لنا وكما يمكن لنا ان نعلم كثافة كل منها بالنسبة لكثافة الارض ولنطبق هاته العمليات على احدى السيارات على الشمس مثلا :

حجم الشمس يساوي ١٢٢٨.٠٠٠ مرة حجم الارض اي :

$$= 1280000 \times \frac{1}{1083320} \dots \dots \dots$$

* السياران اورانوس ونبتون لم يكونا معروفين قديما . فأول اكتشافه صدفة « ويليام هرشل » باقتييرا عند ما كان يتأمل بمنظاره صورة التوامين في مارس سنة ١٧٨١ . وهذا الكوكب من نجوم الرتبة السادسة لا يدرك بالنظر المجرد الا بهعوبة
والثاني اكتشافه الفرانساوي « لوفريي » في اوت ١٨٤٦ . وسبب اكتشافه ظهور اضواء في حركة لورانوس دل على وجود سيار وراءه طبقا لقانون الجاذبية فاثبت لوفريي وجود هذا السيار وعين موقعه بالحساب فقط . وبمقتضى النتائج الحسابة التي استخرجها هذا الرياضي الكبير وقع التفتيش على السيار بالمنظارات الكبيرة فوجد . وهو من نجوم الرتبة الرابعة عشر لا يدرك بالنظر المجرد
وسيما بهذين الاسمين بنا على زعم القدماء الوثنيين من ان رحلا الاله النار واخاه نبتون الاله الهيم واياهما اورانوس

هذا الجدول يمثل كامل النظام الشمسي فجميع السيارات تدور حول كوكب
النهار بسرعة مدهشة امتثالا لقوة جاذبيته العظمى كدوران الحجر في المقلاع وبقدر
ما يقترب السيار من الشمس فان سرعة سيره تكون اعظم على نسبة تأثير الجاذبية عليه
حسبما يتضح من التامل في الجدول . وسرعة الدوران تحدث قوة دافعة معاكسة
لقوة الجاذبية ومن حكمه الله تعالى وبديع صنعها ان جعل قوة الدفع الناشئة عن
سرعة دوران كل سيار مساوية لقوة جاذبية الشمس المسالطة عليه فبسبب تعادل القوتين
حافظ كل سيار على اتباع مداره حول الشمس بانتظام .

راينا في اوائل هذا الفصل كيف توصل اسحاق نيوتون لحساب مقدار جاذبية
الارض للقمر والان نريد ان نعلم كيف وقع التوصل لحساب قوة جاذبية الشمس لبقية
السيارات بعد ان علمنا حجمها وكمية مادتها .

علمنا فيما سلف ان مركز الجاذبية للجرم الكروي في نقطة مركزه الهندسية .
ومعرفة مقدار قوة الجاذبية على سطح جرم كروي يتوقف على تحديد كمية مادته
وقيس طول نصف قطره اي بعد سطحه عن مركزه لنبحث اذن عن قوة الجاذبية
على سطح الشمس . اذا اعتبرنا جاذبية الارض للاجرام التي على سطحها واحدا فان
جاذبية الشمس يلزم ان تكون ٤٠٠ ٣٢٤ مرة جاذبية الارض - وهو مقدار زيادة
مادة الشمس على مادة الارض لان قوة الجاذبية تزداد بزيادة المادة كما علمنا - لو كان
نصف قطر الشمس مساويا لنصف قطر الارض . لكن نصف قطر الشمس يعادل ١٠٩
مرات نصف قطر الارض . وحيث ان الجاذبية تنقص بنسبة مربع المسافة يلزم ان
تكون قوتها على سطح الشمس اقل بمربع العدد (١٠٩) $11881 = 109^2$ اي قوة
الجاذبية على ظهر الشمس $= \frac{2.44 \times 1}{1881} = 3.04$ و ٢٧ فقوة الجاذبية للشمس اذا تساوي
٢٧ ١/٣ تقريبا جاذبية الارض . وربما ان جاذبية الارض ٤٢٩ متر فجاذبية
الشمس $= 429 \times 27.304 = 11732.8$ متر في الثانية الاولى . وهاته الكمية
تضعف معهما بعد الجرم المجذوب عن سطح الشمس بنسبة مربع المسافة واليك جدول
في بيان مقدار جاذبية الشمس على جميع السيارات :

مقدار الجاذبية
في الثانية الاولى

البعد عن مركز الشمس

على سطح الشمس	٨ » ١٣٣	متر ٦٩٧٠٠٠ كم (نصف قطر الشمس)
» بعد عطارد	» ٠١٩٦ »	٠٥٨ مليون كيلو متر
» » الزهرة	» ٠٠٥٦ »	» » ١٠٨
» » الأرض	» ٠٠٢٩ »	» » ١٤٩
» » المريخ	» ٠٠١٣ »	» » ٢٢٧
» » المشتري	» ٠٠٠١ »	» » ٧٧٥
» » زحل	» ٠٠٠٠٣٢ »	» » ١٤٢١
» » اورانوس	» ٠٠٠٠٠٨ »	» » ٢٨٥٨
» » نبتون	» ٠٠٠٠٠٣ »	» » ٤٤٧٨

هذا الجدول يبين لما السرعة التي تسقط بها الاجرام نحو الشمس في الثانية الاولى من سقوطها . وتتضاعف السرعة في اول كل ثانية مولية اي سرعة السقوط في اي ثانية هي ضعف السرعة في الثانية التي قبلها وبذلك يصل مقدار السرعة في الثانية الاخيرة الى ٦٠٠٠٠٠٠ متر ! اي عند ما يصل الجرم الساقط الى مركز الشمس فرضا . وهذا جدول آخر في بيان المدة التي يقضيها كل سيار في سقوطه نحو الشمس لو يعطل عن سيره وتضمحل قوة الدفع المعاكسة لقوة الجاذبية

عدد الايام	عدد الايام
عطارد ١٥ » ٥٥	المشتري ٨٧ » ٧٦٥
الزهرة ٣٩ » ٧٣	زحل ٠٣ » ١٩٠٢
الأرض ٥٧ » ٦٤	اورانوس ٥٧ » ٥٤٢٤
المريخ ٤٤ » ١٢١	نبتون ٧٣ » ١٠٦٢٨

هذا وان ما اسلفنا بياناً للجاذبية العالمية هو سر من اسرار الكون اودعه الله سبحانه وتعالى في الاجرام لحفظ نظام هذا العالم الذي ابدع صنعه (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الالباب)

* حياة الاعشى وشعرة *

محاضرة الاديب الفايغ السيد احمد المهدي النيفر

استهلال

ايها الافاضل

اني محبيكم باحسن ما نحيي به رجال العلم والعمل . رجال هم فخر لاوطانهم
وصفحة في تاريخهم فانتم قوام نهضة الادب الحديثة التي قامت بفضلها هذه السوق -
وقد قبض لها من اولي العزم والكفاءة من بعثها من مرقدتها واخذ بضبعيها . واليكم يرجع
الفضل في نشاط حركة المحاضرات واستمرارها . كما ان اليد الطولى في ايجادها واتساع
رحاب هذه الردهة لها من جديدهي لحضرة رئيس الخلدونية العبقري ولولا انتم وعنايتكم
بحضور امثال هذه المحاضرة بما شجعت ان اتقف فيكم اليوم موقف المحاضر

ايها النخبة

اني مدين للجمعية الخلدونية بدروس في التاريخ الاسلامي كنت تلقيتها من فضيلة
العلامة الوالد في نفس هذه القاعة . فعسى ان اقضي باول محاضرة تسمعها حضراتكم من
لساني بعض حقوق غريبتني فانه :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة مطول معسني غريمها

وقد اثرت ان يكون موضوع المحاضرة « حياة الاعشى وشعرة » لمهين احدها
الاستنتاج من نبوغ الاعشى في الشعر على ضعة اصله وسفالة محتله ان النسابة ومجد
البيوتات لا اثر لهما في تكوين المضماع وان المسالة ليست مسالة اصول . وانما هي
مواهب وعقول

وثاني الامر ين هو درس شخصية وشعر هذا الشاعر الفحل الطائر الصيت الذي كانت
تهنيه العرب حتى نعرف الاقطار التي رحل اليها والاطوار التي تقلب فيها ومن اعزه
بمدحه من الوضعاء واذله بهجوه من الوجهاء وحتى نتبين هل صان الشعر وزانه ام
امتهنه وشانه

حياته

اسمه ونسبه

العرب كما يقسمها ارباب التاريخ ثلاث طبقات : الطبقة الاولى العاربة الاولى
او العرباء او البائدة . الطبقة الثانية العاربة الثانية او المتعربة . الطبقة الثالثة المستعربة وتسمى
بالعدنانيين نسبة الى عدنان الذي هو الشعب المشتهر من ولد اسماعيل ومن عدنان كانت
معد ومن معد نزار واشتهر من اولاد نزار اربعة شعوب هي : اياد وانمار ومضرو وريعة
والى ربيعة هذه ينتهي نسب قبيلة بكر بن وائل التي منها شاعرنا اذ هو مبدون بن قيس
ابن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن
عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

كنيته ولقبه

وكان يكنى ابا بصير وقيل ابا نصير او نصر . اما الاعشى فلقب اشتهر به وليس
هو اسمه كما عرفنا ولم تذكر كتب التراجم سبب اشتهاه به . والمعروف من سنة العرب
ان الالقاب تحدث لاصحابها بما يطرا عليها او لما بها عاهة كما سمي عبد العزى محمدا لعضة
بوجنته وكثير من الشعراء اشتهر بلقب لبيت من الشعر قاله احتوى على تلك المسادة مثل
المرقس الكبير فانه سمي به لقوله :

الدار قفر والرسوم كـ * رقص في ظهر الاديم قـ
والملتبس سمي بذلك لقوله :

فهذا وان العرض طن ذبابه * زنايرة والازرق المتلمس
والمتقب العباي لقوله :

ظهن بكلة وسدلن اخرى * وثقبين الوصاوص للعيون
والمهلل لهلملة شعرة اي رفته وخفته

وليس الاعشى من اولئك . ولعل السبب فيما يظهر ضعف بصره الذي انتهى به في
اخيرة عمره الى العمى لان الاعشى في اللغة ماخوذ من عشي عشا بالقصر اذا ساء بصره
وضعف او هو العمى ومنه خبط خبط عشواء

ويبعد هذا ان لقب الاعشى اطلق على سبعة عشر شاعرا بين جاهلين واسلاميين منهم اعشى باهلة جاهلي واسمه عامر ويكنى ابا قحطان . واعشى بني نهشل جاهلي ايضا واسمه الاسود بن يعفر . واعشى همدان واسمه عبد الرحمان بن الحرث . فيستحيل ان هؤلاء سمووا بالاعشى لما ذكرنا وانما هو لقب غلب عليهم

ويلقب شاعرنا بصناجة العرب لجودة شعره وجلبته حتى يخيل لمن ينشده ان اخر ينشد معه اولانه كان يتغنى به وقيل لذكره الصنح في قوله :

ومستجيبا تخال الصنح يسمعه • اذا ترجع فيه القينة السفضل

والصنح في اللغة شيء يتخذ من صفر يضرب احدهما على الاخر والة ذات اوتار واللاعب بها صناج وصناجة

قبيلته . وحظ بيته من المجد والشعر

قبيلة ربيعة التي بيت اليها شاعرنا هي قبيلة الشعر ومنشأه انجبت فحولا كالمهل والمرقشين الاكبر والاصغر وطرفة بن العبد والمتلمس والحرث بن حنظلة وغيرهم ثم تحول منها الشعر الى قيس فظهر النابختان وزهير بن ابي سلمى ولبيد والشماس واستقر بعد في تميم ومنها اوس بن حجر . وقد رجع الشعر الى ربيعة بابي فراس الحمداني ولذا نسميهم يقولون ختم الشعر بربيعة كما بدى بها يعنون المهلهل وابا فراس

واذا كانت قبيلة الاعشى مبدا الشعر ومرجعه فان بيته لا يعرف من الشعراء غيره واين هو من بيت طرفة وزهير فان ابا الاول هو العبد اخو المرقش الاصغر وابن اخي المرقش الاكبر وهما شاعران وان امه وردة اخت المتلمس وهو شاعر . وابو الثاني وخاله شاعران وزوج امه اوس بن حجر شاعر واختاه سلمى والخنساء شاعرتان ولداه كعب ويحيى شاعران وحفيده المضرب بن كعب شاعر وابن حفيده العوام بن المضرب شاعر اما ابو الاعشى وهو قيس بن جندل فلم يكن شاعرا ولا من السراة الاجناد ولا ممن اشادوا بذكرهم بيتا رفيع العماد

فلا نعرف من اخباره الا انه كان في جبل فدخل غارا يستظل فيه من الحر او ليعصمه من المطر فوقعت من الجبل صخرة عظيمة سدت فم الغار فلبث فيه حتى مات

جوعاً فدعى من أجل ذلك «قتيل الجوع» وقد عير الأعشى به في هجاء جهنم أحد بني قومه له بقوله :

ابوك قتيل الجوع قيس بن جندل * وخسالك عبد من خماسة راضع
فهذه الرواية وفقدان الاخبار مما يدل على الدلالة البينة على جهل قيس بن جندل
أبي الأعشى بالشعر وأنه عاطل من المجادة والثراء . غير معروف للخيل والليل والبيداء
أذ تاريخ الأدب لم يحفظ له بيتاً من الشعر ولم تذكر عنه الرواة حديثاً في الفروسية والبسالة
وما هو إلا صعلوك من الذين يجوبون القفار ويتسلقون الجبال ولا يهمهم من شأن
الحياة شيء والا فما حذاه على مغادرة عشيرته وصعود الجبال حتى تلفحه المهاجرة بحرهما
فيدخل غاراً يموت فيه صبراً فلو كان يقصد إلى غاية سامية تعنى العرب بأمرها وكان
ذلك طريقه إليها لجاءنا الشعر برثائه أو للقبيرة بشهيد الغار
وان تذرع الأعشى بالشعر إلى مدح الناس واستمدار عطاياهم والشعر كما تعلمون شرف
العرب وأكبر ما تضمن به العرب عرضها وشرفها - للبرهان الناصع على مهانة بيت الأعشى
وعوز أبيه

موطنه . ومعتقده

كان الأعشى يقطن منفوحة قرية مشهورة من نواحي اليمامة وذكروا في سبب تسميتها
أنها من نفح الطيب أذ فاح ونفحت الصبا أذ هبت كأنها مهب الريح الطيبة ومربع المناخ
الطيب أو من نفحه بشيء أذ أعطاه لأن بني قيس بن ثعلبة قدمت اليمامة بعد ما نزلها
عبيد بن ثعلبة وأنزل حوله بطون حنيفة فقالوا أنك أنزلتنا في ربك فقال ما من فضل
غير أنني سأنفحكم فأنزلهم هذه القرية فسميت منفوحة . وجاء ذكرها في شعرة :
فشط منفوحة فالخاجر .

وذكر غير واحد أنه كان قد ربا لقرن مذهبه هذا من العباديين نصارى الحيرة واساقفة
نجران أذ كان ياتهم يشتري منهم الخمر ويسرقون شاهدها على ذلك ما أخبر به راويته
يحيى بن مثنى : قل كان ليبد مشبهاً وكان الأعشى قد ربا وأنشد للبيد قوله :
من هداه سبل الخير اهتدى * نساء البéal ومن شاء أضل
وأنشد للأعشى قوله :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجل
والقدرة قوم يرون ان كل انسان خالق لافعاله ولا يرون المعاصي بتقدير الله
وبعكس ذلك المثبتة

واستدج بعضهم من قوله

فما معتل بي على هيكل * بنهاده وصلب فيه وخارا

باعظم منك بقي في الحساب * اذا النسمات نفغن الغبارا

انه كان يؤمن بالبعث والحساب ومن قوله :

فلا تحسبني كافرا لك نعمة * على شاهديا شاهد الله فاشهد

انه ممن اقر بالملكين الكاثنين . وفي الحق ان شعرة لا يدل على نصرانية او وثنية

اذ هو مضطرب ان يستنتج منه في البيت ان ديانتها النصرانية استخلص منه في اخر

انها الوثنية قال :

حلفت بالملح والرمادة وبالعهـزى وباللات نسلم الحلقة

وعلمت ان النفس تلقى حفتها * ما كان خالقها المليك قضى لها

من كون فيه الشاعرية

لئن عدم الاعشى الشعر المجد من طريق ابيه فقد تقف الشعر من جهة امه فان
المسيب بن علس الشاعر المشهور كان خالا له كما روى واستاذة في الشعر فقد قضى عنده
الاعشى عهد المران في الرواية وكانت العادة في ايام الجاهلية اذا نبغ شاعر ان يلزمه من
يروى شعرة ويفسده للناس ويغلب ان يكون الرواية مرشدا للشاعرية فامرؤ القيس كان
راوية ابن دواد الايادي وزهير راوية اوس بن حجر وكثير عزة راوية جميل بثينة وجميل
راوية هذبة بن خشرم وهذبة راوية الخطيئة والخطيئة راوية زهير وابنه وكذلك كان
قدماء اليونان لهم رواة للشعر مثل رواة الآلياذة

ولا بدع اذا كان مترجمنا من فحول الشعراء وشعراء في الذروة والسمام فان شاعريته
مكتسبة من خاله وهو من شعراء الطبقة الثانية واشعر المقامين كان مدح عمرو بن هند
بحضرة المتأس وطرفة . ومن شعرة قوله :

ابلق ضبيعية ان البلاء * د فيها الذي حسب مهرب
فقد يجاس القوم في اهلهم * اذا لم يضاموا وان اجسدوا
لكن قول جهنم للاعشى « وخالك عبد » يشككنا في خؤولة المسيب له اذ انه
ليس بعبد
هل كان اعمى من حين الولادة

اطبق الادباء ان الاعشى كان اعمى فهو اعمى بلا ريب بقي هل ولد اعمى ام طرا
عليه في صباه او في آخريات حياته لم نر فيما تصفحنا من الكتب التي ترجمت له من
بحث في ذلك فضلا على ان يحقق . نعم ذكر صاحب الخزانة وتبعه بعض من كتب في
تاريخ الادب من المعاصرين ان عماء كان اواخر عمره . لكنه يشكل مع ما جاء في البيان
والتبيين للجاحظ فانه اورد قول الاعشى :

بيضاء ضحوتها وصف.....راء العشيية كالعرارة

وقول بشار:

فاذا دخلت تقنعني بال..... ان الحسن احمر

ثم قال : وهذان اعيان قد اهتديا من حقائق الامور الى ما لا يبلغه تمييز البصراء
ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لاحد فكلام الجاحظ هذا صريح في ان الاعشى
مثله مثل بشار لم يقصر المراثيات من يوم ولد والا لما كان لتعجبه مساع
ولا يمكن ان نهدي بشعة الى دخيلة الامر لان الشعر لا يميز السبيل في مثل هذه
الامور فكمن شاعر ضرير بلغ بوصفه للحقائق ما لا يبلغه بصير وهذا ابو العلاء المعري يقول :
ولاح هلال مثل نون اجادها * بجاري النضار الكاتب ابن هلال

ويقول

رب ليل كانه الصبح في الحسن وان كان اسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو حتى * وقف النجم وقفة الحيران
فكأنني ما قلت والبدر طفل * وشباب الظلماء في العنقوان
ليمتي هذه عروس من الزن.....يح عليهما قلائد من جمان

وكان الهلال يهوى الثريا * فهما للوداع معتمقان
وسهيل كرجنة الحب في الدو * ن وقلب المحب في الحفقان
يسرع اللحم في احمرار كما تسرع في اللحم مقلة الغضبان
ثم شاب الدجى فيخاف من العج * ر فغطى المشيب بالزعفران
ومبلغ ما نقوله ليتسنى لنا الجمع بين هذه الاقوال المتدافعة ان الاعشى كان يبصرة
ضعف من مبدا حياته لازمه حتى ابيضت عيناه من الكبر

حبسه للخمر وطلاق زوجته

شعر الاعشى مملوء بالحديث عن الخمر فلا تكاد تخلو قصائده عن مجالس الشراب
او تعدم وصف اربيع الخمر وصفائنها وكان يجيد وصفها في الجاهليين كما يجيد ابو
نواس وصفها في الاسلاميين ومن شعرة في ذلك
وكاس كعين الديك باكرت خدرها * بفتيان صدق والنسواقيس تضرب
سلاف كان الزعفران وعند ما * يصفق في ارجائها ثم يقطب
لها ارج في البيت عمال كانه * الدم به من بحر دارين اركب
وقال :

وشموس تحسب العيين اذا * صفيقت وردتها نور الذبح
فلئن ربك من رحمة * كشف الضيقة عنا وفسح
فترى القوم نشاوى كاهم * مثل ما مدت نصاحات الربيع
كل وضاح كريم خمد * وخذول الرجل من غير كسح
وقال :

وادكن عاتق حجل ربحل * صبحت براحه شربا كراما
من السلائي حمان على المطايا * كسريح المسك تستل الزكاما
وهو خير من قول الاخطل :

وتظلل تصفنا بها قروية * ابريقها برقاءها ماشوم *
فاذا تصاورت الاكف زجاجها * نفحت فشم رياحها المزكوم

وبلغ من حبه لها ان كان له معصر باثافة وهي قرية باليمن ذات كروم كثيرة يعصر فيه ما جزل له اهلها من اعنابهم ولذلك قال :

احب اثسافة ذات الكرو * م عند عصارة اعنابها *

وما حرمة الهداية الاسلامية الا الحمر فقد كاد ينجولولا ان رجوع يستنفد ما بقي له منها فباعته الحمام

وقد شربها حيا وسقي بها ميتا قال يحيى بن علي : رايت قبر الاعشى بمنفوحة فاذا اراد الفتيان ان يشربوا خرجوا اليه فشربوا وصبوا عنده فضلات الاتداح » وقال ابو سليمان النوفلي : « اتيت اليمامة واليا فمررت بمنفوحة فقلت اهذه قرية الاعشى قالوا نعم . فقلت اين منزله . قالوا ذاك وشاروا اليه . قلت فايين قبره . قالوا بفناء بيته . فعدلت اليه بالجيش فانهيت الى قبره فاذا هو رطب فقلت مالي اراه رطبا . قالوا ان الفتيان ينسادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم فاذا صار اليه القدر صبوه عليه .

وتزوج الاعشى امرأة من غزاة بن اسد فرغب عنه قومها فاتوه وهددوه بالضرب او يطلقها واذا صحت هذه الرواية دلت بوضوح على وضاعة الاعشى وسفالة اصله والا لما اكراه على فراق زوجته فيمثل طائعا وكانت عادتهم في المناكحة ان لا تزوج الشريفة الا شريفا ولا ينكح الشريف الا شريفة ولا يكون من له شعرة قدر يرفعه ويجعله في مستوى الاشراف فان تكسبه به يفقده ذلك وينزل به الى الدرك الاسفل من الحطة

ولا يلبس علينا زعم الدكتور طه حسين ان تكسب الاعشى بالشعر لم يحط من قدره كما حط من قدر النابغة مستدلا باخبار المخلوق وفتح المشركين من اسلامه ثم هو يتعجب كيف وضع التكسب النابغة ورفع الاعشى فان هذه الرواية تفند مزعمه ثم متى كان الاعشى عظيما رفيع المكانة وانما كانت الناس تهابه لسلطة لسانه وتضامعه اتقاء لشرة فلا يلزم ان يكون من ذوي الاقدار

واليكم الايات التي انشدها حين الطلاق

ايا جارتني بيني فانك طالق * كذاك امور الناس غاد وطارقه

وبيني حصان الفرج غير ذميمة * وموموقة فينا كذلك وواقعه
وبيني فان البين خير من العصا * والا ترى لي فوق رأسك بارقه
وما ذاك عندي ان تكوني دنيئة * ولا ان تكوني جئت عندي بياقة
وكيف وفي ابناء قومك منكح * وفتيان هزان الطوال الغرائقه

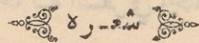
وبها اثبتوا ان الطلاق في الجاهلية كان ثلاثا على التفرقة فكان احدهم يطلق زوجته
واحدة وهو احق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها وجاءهم ذلك
من سنة ابيهم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

واني لا عجب من امر الاعشى ياتيه من كسدت عليه بناته فيشيب بهن او يمدحه
بقصيد فليتفت الناس اليهن ويرغبوا في نكاحهن ويعجز عن ان يستبقي عصمة زوجته
لنفسه فهو له مري طيب يد اوي الناس وهو عليل .

وفاته

سياطينا ان الاعشى لما انصرف الى موطنه بعد ان كان يقصد ملاقاته النبي صلى
الله عليه وسلم ليعلن به اسلامه روى به بغيره قراب قرية منفوحة مسقط رأسه
فدقت عنقه .

وتذكر كتب الطبقات ان هذا كان عام الحديبية ثم تُوِرخ وفاته بسنة ٧ للهجرة
التي يوافقها من الميلاد عام ٦٢٩ مع ان صلح الحديبية كان سنة ٦ هجرية واذا اردنا
الدقة فان وفاته دائرة بين سنة ٦ وسنة ٧ للهجرة



قيمته

الاعشى احد فحول الطبقة الاولى من شعراء الجاهلية . وتعد هذه الطبقة اربعة
شعراء انعقد اجماع اولي النظر من القدماء على تفضيلهم والحكم لهم بالتبريز والزعامة
في الشعر فلا يرون النبوغ فيه وامثالك ناصيته غير امرئ القيس والناطقة الذياني
وزهير بن ابي سلمى واعشى قيس .

واحتدم نزاعهم بعد في التفضيل بين هؤلاء الاربعة وتقديم واحد من بينهم جدير ان يعطى اشارة الشعر فكان لكل واحد نصراء من اهل الحواضر منحوه الرئاسة الشعرية فلامرئ القيس رجال البصرة والاعشى رجال الكوفة وللنابعة وزهير رجال الحجاز ولا نحسب ان انتصار القدماء لواحد وترجيحه ناشيء عن استحكام العصبية فيهم وبدافع حب القومية لان المحكم عندهم في ذلك الاذواق والميول وهما يختلفان في الناس فقد يروق لهذا ما لا يروق للآخر ويقع الشعر الوصفى في نفس من يهيم بحب الوصف ولا يهتبل له من يعني بالفخر والحماس

ولذا ترون خلف الاحمر لما سئل عن اشعر الناس قال ما ينتهي هذا الى احد يجتمع عليه كما يجتمع على اشجع الناس واخطب الناس واجمل الناس . ولما سئل عن ايهم اعجب اليه ؟ قال : الاعشى . وترون يونس بن حبيب النحوي قال : - حين سئل عن اشعر الناس - لا اومى الى رجل بعينه ولكن اقول : امرؤ القيس اذا ركب والنابعة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب

فاجتماع الامة كلها على تفضيل شاعر لا يكون بجمال كما ان التفرد بالحسن لا يقضى به لاحد لان الناس تختلف في تقدير الشعر والجمال والشجاعة . ويمكن ان يفتتن قبيل من الناس بجمال انسان او يعجبوا بشعر شاعر دون ان يتجاوز عند قوم اخرين منزلة القبول والاستحسان

واذا تدنسنا قيمة شعر الاعشى في نظر السالفين لم يكن لنا بد من جعل ثلاثة مذاهب تجمع اقوالهم واءراءهم فان منهم من قدمه ولم يذكر مدركه كيجي بن الجهمون العبدي راوية بشار قول : نحن حاكة الشعر في الجاهلية والاسلام ونحن اعلم الناس به استاذ الشعراء في الجاهلية اعشى بنى قيس وجريز استاذهم في الاسلام . ومروان بن ابي حفصة سئل من اشعر الناس ؟ قال : شيخا وائل الاعشى في الجاهلية والاخطل في الاسلام . وحمام الراوية بعث اليه بالكوفة ابو جعفر المنصور يحيى بن سليم الكاتب يسأله عن اشعر الناس فقال : ذاك الاعشى صنأجها . والمفضل روي عنه انه قال : من زعم ان احدا اشعر من الاعشى فليس يعرف الشعر .

ومنهم من رفعه لكونه يراه طرق جميع اغراض الشعر وهو الذي حكى عنه ابو عبيدة

فقال : يحتج من قدم الاعشى بكثرة طوالة الجياد وتحرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك اغيرة . ونقل عنه ايضا ابن سلام في طبقاته فذكر ان اصحاب الاعشى يقولون هو اكثرهم عروضا واذهبهم في فنون الشعر .

وهناك طائفة تعدد استاذ الشعر النابغ فيه لكثرة اعاريضه وما يروى له من الطوال الجياد ولثانة شعره وعذوبته وسوى ذلك . مثل عبد الملك بن مروان نقل عنه انه قال لمؤدب اولاده : اذهبهم برواية شعر الاعشى فانه قاتله الله ما كان اعذب مجده واصاب صخره . وقال ابو عبيد : وكان الاعشى يقدم على طرفه لانه اكثر عدد طوال جياد واصف للخمر وامدح واهجا واكثر اعاريض وانما فضل لانه سلك اساليب لم يسلكها غيره . ويقول ابو عمرو بن العلاء مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيرة

وكان من المعجبين به كثيراً ابو الخطاب الاخفش وابو عمر بن العلاء يرفعانه الى الذروة ويعظمان محله واذا سئل الاخير عنه وعن لبيد ؟ قال : لبيد رجل صالح والاعشى رجل شاعر . وقرنه ابن سلام بامرئ القيس

هذا ما يقوله الاقدمون في تفضيل الاعشى على لداته من الشعراء . ومنه تظهر للمتأمل الاسباب التي يرجع اليها ذلك التفضيل وهي كما ترون :

١ - وفرة قصائده وطولها مع الاجادة .

ولا بدع اذا كان من اسباب تقديم الشاعر على غيره مقدرته على انشاء الطوال الجياد وكان مع ذلك يأتي بالكثير فان الشعر في الزمن الجاهلي قصير بالقياس الى غيره ومتى عرفنا صدورها عن بداهة وارتجال لا عن روية كما كان شأنهم في الجاهلية زاد اعجابنا بالشاعر والغنا في تقديره

غير ان لا نعرف في شعر الاعشى ما يصح ان يوصف بطول قصر عنه الشعراء غيره . فاطول قصيدة في شعرة لا تبلغ اكثر من ٩٨ بيتاً مع ان معلقة طرفة مائة وثلاث ابيات الا ان يكون القسم المهم من شعرة وهو ما حكموا عليه بالطول ضاع ولم يصابنا . فيطرقنا حينئذ ما تطرق الدكتور طه حسين من وضع شعر منحول مكان ما ضاع من

شعرة

ولعلمهم لا يقصدون من نعت قصائده بالطول غير تقريده من بين اترابه بكثرة ما

ينظم من الطوال كما تودن به الا كثرية في عبارتهم وان كان لغيره قصائد تربو على قصائده احيانا . فان شعرة في مجموعته ينتظم من عدة قصائد طويلة لا نرى امثال تلك الكثرة في شعر شاعر سواه . وقد يتعين ان يكون هذا مرادهم اذ المنظور اليه عند التفضيل جملة الشعر لا القصيدة او القصيدتان

ومن اسباب تفضيله :

٢ - البراعة في المدح والهجاء .

وهي ترجع للتاثير الذي بلغه شعرة في نفوس العرب . وكأنه كان حريصا على ان يستبقي لنفسه هذه الميزة فاذا عمل شعرا في المدح او الهجاء استفرغ وسعه واجهد قريحته في اخراجه على وفق ما يتمتع به من التاثير وزيادة فتأتي مدائحه واهاجيه بالغة الغاية وفضل ايضا :

٣ - بوصفه البديع وعلى الاخص وصفه للخمر .

ولا يأتي شعر من اشرب في قلبه الخمر وطعمها في مختلف الاقاليم وحبب اليه مجالس الشراب والارض ذات الكروم الا بالوصف المدقq والنعت الكاشف الرائع وتصرفه في فنون الشعر وسلوكه لجميع سبله كما كان يسلك المفاوز في ترحلاته وتنقله بشعرة من غرض الى غيرة مثلما كان ينتقل بنفسه من بلاد الى اخرى اكبر حجة يدلي بها انصاره على رسوخ قدمه في مداحض الشعر وخير كفيـل يضمن له الفوز في معترك الشعراء وتنازع الامارة في الشعر

ولا اراه ظفر بالتصرف في انواع الشعر وبالتحكم في اعاريضه من غير تلك الروح التي كانت تعشق الطواف فلم تتركه يلق عصا الترحال

فتحصص ان تفوق الاعشى على من سواه لاربـع صفات استخلصها من شعرة من فضله من السالفين وهي هذه :

١ - اتقان المدح والهجاء

٢ - الوصف المـحكم لما يتناولـه وخصوصا الخمر

٣ - التفنن في موضوعات الشعر كلها

٤ - الطول مع الاجادة والكثرة

وما فتئت هذه الصفات ماثلة الى اليوم في شعرة . وليس هي كل ما فيه من قيمة
فقد تبين لنا من درسه والمقارنة بينه وبين ما عرفه من حاله صفات غيرها ربما تكون
من مميزاته التي اكتسبها من موالاة الاسفار

ومن الحكمة ان نلم قبل الاستظهار والحكم بذكر اشهر النماذج للشعر الجاهلي لنعرض
عليها الشعر الذي بين ايدينا حتى نعرف مبلغ حكم القدمين للاعشى بالشقن في جميع
اغراض الشعر من الصحة

وانواع الشعر في الجاهلية لا تكاد تعدو سبعة - الفخر - والمدح - والهجاء - والرثاء -
والنسيب - والوصف - والاعتذار - وقد ضرب الاعشى بسهمه في كل هذه الانواع
وجرى في ميادينها

اما الفخر فاشهر شعرة فيه قصيدته التي يفخر فيها بيوم ذي قار ومنها :
لو ان كل معدي كان شاركا * في يوم ذي قار ما اخطاهم الشرف
لما امالوا الى الشباب ايديهم * ملنا بفيض فضل الهام يقتطف
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم * حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف
واما المدح والهجاء فهو فارس حلبتهما وشعرة فيها يفوت الحصر . مدح كثيرين
كالنبي صلى الله عليه وسلم والاسود بن المنذر والمعلق الكلابي . وهجاء علقمة بن
علائة وغيره بقصائد ذاع ذكرها

ومن مستبعات البراعة في المديح ايجادة التغزل اذ طريق الشاعر العربي في قصائد
المديح ان يستفتح بوصف احوال النساء من طعن واقامة وبكاء الدمع والاطلال التي
غادرنها وما الى ذلك وهو ما يسمى بالنشيب من غير ان يهجم على الموضوع راسا
وقد رايت ابداعه في صنعة الخمر فيما اسمعناكم من شعرة واذا اخذ يصف قصرا صور
كل ما فيه حتى كانه يشاهد فيذكر بناءه ومشاربه ودماء وخدمه وطهاته قال يصف
حصن الابلق الفرد الشهير :

يوازي كيدات السماء ودينه * بلاط ودارات وكلس وخندق
له درك في راسه ومشارب * ومسك وريحان وراح تصفق
وحور كمثل الدمى ومناصف * وقدر وطباخ وصاع وديسق

وله في الاعتذار والاستعطاف شعر غير يسير اشتهر منه اعتذاراته لعلةقمة بن علاثة
واوس بن لام والى الاخير يقول :

واني على ما كان مني لئادم * واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل عذرتي * ويصفح عني ما حييت لراغب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم * بشكرك فيها خير ما انت راغب
سأخو بمدح فيك اذ انا صادق * كتاب هبء سار اذ انا كاذب

وكان الاعشى كان يحب ان يعرف الناس انه جاس خلال الديار الفارسية واختلف
الى صدورها وغشي نواديها فعرف ما تحويه من اوتار رازهار ولذا نسمعه يقول فيذكر
الاسماء باللغة الفارسية :

وشاهدنا الجبل والياسمين والمسمعات بباقصا بها
وبربطنا دائم معمّل * فـسـاي الثلاثة ازرى بها
وينطوي الكثير من شعرة على التذكير بعبر التاريخ ومصارع العظماء وفناء الاجواد
والاستدلال في الحوادث بنظائرهما من التاريخ ينظم كل ذلك في امداحه ويتبسط في
تشخيصه وهذا مسلك غير معروف والمالوف من عادتهم ان يضربوا الامثال بفناء الملوك
واضحلال الامم لعظمتها وهلاك الاسود وموت النسور لمعتها في قصائد الرثاء . قال
لاعشى للمحق :

ارى عاديا لم يمنع الموت ماله * وفرد بتيماء اليهودي وابلق
ولا الملك النعمان يوم لقيته * بنعمته يعطي القطوط وينفق
فذاك وما انجى من الموت ربه * بسابط حتى فات وهو محرزق
ويقول لشريح يذكره بحادثة ابيه السموأل مع الحارث بن ظالم
كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * في جحفل كهزيع الليل جرار
وسامه خطتي خسف فقال له * قل ما تشاء فاني سامع حار
فقال غدر وثكل انت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار

وقد تآثر باخلاق وعادات من طوف اليهم الآفاق من العجم فظهر في شعره اثر تلك
لحاضرة الفارسية فكثيرا ما ياتي فيه باسماء القصور والادوات والآلات والطيب والرياحين
والا يقصر حديثه على وصف نجيمته وما قطعه عليها من الفياقي

وشعرة في الحكمة يسير بالنظر الى شعر سواد من الشعراء فهو ينظمها في بيت او بيتين
ويدرجها في تضاعيف مطولاته وله مع ذلك ابيات ضربت بها الامثال كقوله :

الشعر قلدته سلامة ذا * فأتش والشيء حيثما جعلها

وقوله :

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وقوله :

عودت كندة عادة فاصبر لها * اغفر لجاهلها ورو سجالها

او كن لها حجلا ذلولا ظهرة * واجمل فانت معود تحمالها

وقوله يشكو مضاضة الاغتراب :

وان الغريب من يغرب نفسه * لعمر ابيك الخير لا من تنسبها

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى * مصارع مظلوم مجرا ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وان يسي * يكن ما اساء النار في راس كبكبا

وقوله !

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ان لا تكون كمثله * فترصد للامر الذي كان ارضا

وتغلب على شعرة السهولة والسلاسة فتقبليه النفس ولا تنفر عنه الآذان ويجري به

اللسان ولطوال قصائده خاصة طلاوة ورونق حسن

الم تغتمض عيناك ليلة ارمدا * وبت كما بات السليم مسهدا

ما بكاء الكبير بالاطلال * وسؤالي ومسا ترد سؤالي

ودع هريزة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا ايها الرجل

رحلت سمية غدوة اجمالها * غضبي عليك فما تقول بدالها

من ديار بالهضت هضب القلب * فاض ماء الشؤون فيض الغروب

ويغرب تارة في شعرة ومن غريبه قوله :

وقد غدوت الى الخانوت يتبعني * شاوشل شلول شاشل شول

فسمي من اجل ذاك شاشل كما سمي مسلم بن الوليد سلسل لقوله

سالت وسالت ثم سل سليليها * فاتى سليل مسليلها مسلولاً
هذا لا نقوله في قيمة شعر الاعشى بالنظر الى المعنى الشعري العام ومن غير ان نغير
الصناعة الشعرية التفاتاً

وقد جمع شعرة الى المادة اللغوية التي كانت للجوهري صاحب الصحاح اصح شاهد
الروح الشاعرة والاضطلاع بما كان يدور حوله الشعر الجاهلي

تأثيره

على ان لشعر الاعشى زيادة على ذلك كله جلالة في صدور العرب واثراً فعالاً في
حياتهم الفردية والاجتماعية تنتاب العائلة ضائعة مالية وتعوزها النباهة في الذكر
ويعثر بها الجسد فتؤمّ طاب بيانه ليحرك به لسانه فمما ينتضي الا زمن ينتشر فيه قوله
حتى يبذل عسرهما يسراً ، خولها ذكراً ونحسها سعداً

وينمى الى عصاة المشركين عزمه على الرحلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيوجسون خيفة من ان يتبع الهدى فيضرم عليهم نيران العرب بشعرة فيرصدوه على
طريقه ليفتوا في عضده و يقطعوا لسانه

شعر مؤثر وقول نافذ ما رايناها لغيره من الشعراء وان فيما سنقصه على اسماعكم من
اخباره لشاهد بذلك

حديثه مع المخلوق

في بادية الكلابيين من بني عامر بن صعصعة رجل مئاث ملاق اسمه عبد العزى
بن حنتم بن شداد ويلقب بالمخلوق لاثربخده كالحلقة وكانت له امرأة بصيرة بمنزلة
الاعشى من القوم تعرف انه مفوه مجرود في الشعر يتناول بمدحه الحاسل فيعظم في
اعين الناس ويهجو النبى فيضع من قدره فسانت هزت فرصة مرورة بهم في طريقه الى
متسوق عكاظ على عادته من كل سنة وجاءت بعلمها فقالت له : يا ابا كلاب ما يمنعك
من التعرض لهذا الشاعر فما رايت احداً اقتطعه الى نفسه الا واكسبه خيراً وانت رجل
كما علمت فقير ذو بنات فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة لرجوت لك حسن
العاقبة . قال : ويحك ما عندي الا ناقتي وعليها الحمل : قالت الله يخلفها عليك

فتلقاه المحلق قبل ان يسبق اليه احد واخذ الخطام من يد ابنه فتعال الاعشى من هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: المحلق. قال: شريف كريم. ثم انزله واناخ البعير ونحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها واطعمه من اطاييها ثم سماء واحاطت به بناتاه يغمزنه ويمسحنه فقال: ما هذه الجواري حولي. قال بنات اخيك وهن ثمان وذكر امرهن. ففارقه ولم يقل فيه شيئا

فلما وافى المحلق سوق عكاظ رأى سرحة قد اجتمع الناس عليها والاعشى ينشدهم قصيدته التي يقول في مطلعها:

ارقت وما هذا السهاد المورق * وما بي من سقم وما بي معشق
فوقف يستمع وهو لا يدري اين يريد بقوله الى ان سمع
لهمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليفساع تحرق
تشب لمغرورين يصطليان بها * وبات على النار الندى والمالحق

ثم سلم عليه فقال له مرحبا يا سيدي بسيد قومه ثم نادى يا معشر العرب هل فيكم مذكر يزوج ابنه ال الشريف الكريم. فما نهض المحلق من مقعده الا والاشراف من كل قبيلة ينسلون اليه يخطبون بناته فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل ويشبه هذه القصة ما ثبت ان امرأة جاءت الى الاعشى فقالت ان لي بنات قد كسدن علي فشبب بواحدة منهن لعلها ان تنفق ففعل فما شعر الا بجزور قد بعث به اليه فقال ما هذا؟ فقالوا زوجت فلانة فشبب بالاخري فاتاه مثل ذلك فسال عنها فقيل له زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة حتى زوجن جميعا

حديثه مع علقمة بن علاثة

يذكر الرواة ان عامر بن الطفيل رعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة فجرت بينهما المناقرة المشهورة وقد تداعيا الى ابي سفيان بن حرب ثم الى ابي جهل بن هشام فلم يقلوا بينهما شيئا فتداعيا الى هرم بن قنطة ليحكم بينهما فابى ان يفضل احدهما على صاحبه وقال كلا كما سيد كريم لكيلا يجلب بذلك عداوة ويوقع بين الحيين شرا. فانقيهما الاعشى وهو يحمل عطيا قيس بن معد يكرب خائفا ان تنتهب منه فاستجار بعلقمة فلم يجره فاتى عامرا فاجاره. فركب الاعشى اذ ذاك ناقته ونفر عامرا وفضله على علقمة فقال:

حكمتهم ففقدى يديهم * ابلج مثل القمر الباهر
لا يـأخذ الرشوة في حكمه * ولا يـبالي غيبـن الحـاسر
علقم ما انت الى عامر * النـساقـض الاوتـسار والواتر
واللابس الخـمـيل بخـمـيل اذا * ثار عـجـاج الكـبة الشـائر
ان تسد الحوص فـسـلم تصـدمهم * وعـامـر ساد بـنـي عـامـر
وساد والفقـى رهـطـه سادـة * وكابـرا سادوك عن كـابـر

فصخب القوم وقالوا نفر عامر وذهبت به الغوغاء وجهده علقمة ان يردها فلم يقدر على
ذلك فجعل يهدد الاعشى فهجاه بقصيدة يقول فيها :

اتاني وعيد الحوص من مال جعفر * فيا عبد عمر ولو نهيت الاخوصا
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا
يراقبن من جوع خلال مخفة * نجوم العشاء العاتيات الغوامصا
فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر ورفع يديه وقال : لعنه الله نحن نفعل هذا بجاراتنا
وصادف ان وقع الاعشى بيد علقمة لما اخطا به دليله الطريق فانشدته معتذرا :
اعلقمة قد صيرتني الامسور * اليك وما انت لي منـقص
فعب لي نفسي فدتك النفوس * ولا زلت تنهـو ولا تنـقص
وما كان من علقمة الا ان احسن عطاءه وحمله على ناقته واخرج معه من يبلغه مامنه
فعرّف به الاعشى عفوّه مع المقدرة وانطلق لسانه يمدحه فقال :

علقم يسا خير بني عامر * للضيف والصاحب والزائر
وانصاحك السن على همة * والغـمـافر العـشرـة للعـائـر

وروى صاحب الاغانى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع حسان بن ثابت
يشهد هجاء الاعشى لعلقمة وكان الصحابة يومئذ يتذكرون الشعر وايام العرب وهو صلى
الله عليه وسلم يصغى اليهم وبتسم فقال : كيف عن ذكره يا حسان فان ابا سفيان لما شعث
مني اي تنهني عند هرقل رد عليه علقمة . فقال حسان : بابي انت رامي يا رسول الله
من نالتك يده فقد وجب علينا شكره

وفوده الى النبي صلى الله عليه وسلم

قصده الاعشى لما تسامع بالدعوة الاسلامية وبلغه هداها وما تامل به من زاهر الشرائع الى صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام واعد قصيدة ليمدحه بها بين يديه فبلغ ذلك عداء النبي صلى الله عليه وسلم فاتفقوا على صده وتقض عزيمة لعلمهم انه صناجة العرب التي تقاد بشعرة فلما ورد عليهم قالوا اين اردت يا ابا بصير فقال اردت صاحبكم هذا لاسلم قالوا انه ينهداك عن خلال كلها لك موافق ويحرمها عليك قال وما هي ؟ قالوا الزنا والربا والقمار والخمر . قال : اما الزنا فلقد تركني وما تركته واما القمار فلعلي ان لقيتنه ان اصيب منه عوضا واما الربا فما دنت ولا ادنت واما الخمر فان في النفس منها العلاجات وسانصرف الى صباغة بقيت لي في المعهراس فاتروي منها عامي هذا ثم عاتيه فاسلم فرجع واخذ منهم مائة من الابل فلما كان بقاع منحوفة سقط عن بعيرة فمات

وقد اختلفت رواية هذا الخبر فيذكر بعضهم انه جرى في مكة والقائل ابو جهل بدار عتبة بن ربيعة وآخر يقول انه ابو سفيان ومنهم من يقول انه عامر بن الطفيل . ولا يكون وقع هذا الحادث الا بالمدينة لا بمكة لان قوله في القصيدة

الا اي هذا السائي اين يمت * فان لها في اهل يشرب موعدا

يدل على ذلك ولان بدا تحريم الخمر كان بالمدينة بعد ان مضت بدر واحد ولا علينا في القائل من هو ؟

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين سمع بما جرى : كاد ينجو ولما وهاكم ايات من قصيدته التي كان اعدوها لمدحه صلى الله عليه وسلم اعد فيها بعض المحاسن التي كان يدعو اليها عليه الصلاة والسلام ولو ان الاعشى لم يخنه التوفيق واعتنق الاسلام حتى يتادب به ويتلقى الحكمة من معدنها ويشرب مما شرب حسان الكان شعرة اليوم يتدفق حكمة سامية وروحا عالية وتقار بالحسنتين الشاعرية الفذة وقد رفض الدكتور طه حسين ان تكون هذه القصيدة من عمل الاعشى وانما هي وضعت عليه بدعوى انها الى نظم المتون اقرب منها الى الشعر الجيد . وهي دعوى باطلة وحجة واهية اذ مضى اكثر من ثلاثة عشر قرنا لا كت فيها معانيها الكبار والصغار لا بد ان يجعلها في نظر الدكتور متكلفة ضعيفة على ما يفهمه من التكلف والضعف

على ان الاعشى كسائر اهل عصره يجد لتلك المبادي التي جاء بها صلى الله عليه وسلم
جدة فلا يكون متكلفا او مهاهل اللفظ اذا اسهب في تعدادها وبلاحرى اذا كان يريد
الايمان وانه مقر بكل ما دعى اليه قال :

الم تغمض عيناك ليلة ارمدا * وعادك ما عاد السليم المسهدا
ولكن ارى الدهر الذي هو خائن * اذا اصابت كفاي ءاد فانسددا
كولا وشباننا فقدت وثرة * فله هذا الدهر كيف ترددا
ومنها

فآليت لا ارثي لها من كلاله * ولا من حفى حتى تزور محمدا
نبي يرى مسالا ترون وذكره * اغار لعمرى في البلاد وانجددا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقى من فواضله يدا
له صدقات ما تغب ونائل * وليس عطاء اليوم مسانعه غدا
ومنها

فاياك والميتات لا تسقرنها * ولا تاخذن سهما حديد التقصدا
وذا النصب المنصوب لا تمسكنها * ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا
تكسبه بالشعر

لم يؤثر عن العرب في جاهليتها الاولى اهتمام مثل اهتمامها بالشعر والخطابة
والقيادة فهي لا تحتفل بشيء امام واحد من تلك ولا تعنى من اصلاح احوالها بامر مالم
تكن انجبت شاعرا او خطيبا او قائدا

ولا احسبها الا موقفة احسنت الصنع فانما لو استعرضنا صوراً من تلك الغارات
التي تجري بينهم صباحا مساء وتلك الحروب التي تسعر لسبب تافه وتلك المنازعات
التي تحدث بين رؤساء القبائل والخلافات القائمة بين الملوك والعمال وما تستدعيه من
سفر واصلح لذات البين اعذرنا العرب في تقديرها للخطباء والقواد

ومن للمنفقات التي تعقد والمفاخرات التي تقام والمهاجات التي تحدث ومن
يحوى الذمار ويذود عن الاعراض ويذب عن الشرف ومن ينطق بالسكرام والمفاخر
ويخلد على الادهار المتأثر لولا الشعراء

وللشعراء عندهم منزلة ممتازة وكلمة نافذة وما كانوا يسرون بهم أكثر من سرورهم
 بالشاعر يوم ينبغ فيهم فهو أحب اليهم من الخطيب وأكرم عليهم من القائل . ولذلك
 كانت القبيلة منهم تقيم الولائم وتصنع الاطعمة وتجتمع نسائها يلعبن بالزاهر ويتباشر
 الرجال والولدان وتأتي القبائل الاخرى مهنئة بنوع شاعرها المتكلم بلسانها وناسر ذكرها
 وقد لبث الشعراء دهرا طويلا يتقبلون في نعيم هذه الكرامة الموفورة والرعاية الثامة
 ويتمتعون بتلك المنزلة الرفيعة التي اهلهم لها الشعر بما كان له في نفوس العرب من الاثر
 المبين والحظوة البالغة حتى اطلعت فئة امتهنت الشعر وتكبت به المحجة الواضحة
 واتخذته معبرا الى اجتلاب العوارف والصلاة وهو ما يعبر عنه اهل الادب بالتكسب
 بالشعر بعد ان كان عزيز الجانب لا يصنع لغير شريف المقاصد ونيل الاغراض
 كالحماس والفخر فغض ذلك من قدر الشعر وتحامت قوله الاشراف وغدا حرفة
 المستجدين العفاة

واول من نزل بالشعر الى الخفيض وسلك به هذا السبيل النابغة الذبياني فانه
 مدح النعمان بن المنذر وقبل صلاته وتكسب مالا جسيما من عطاء الملوک حتى كان
 اكاه في صحاف الخنضة والذهب ثم جاء من بعده زهير فقصده القصائد الكثيرة في هرم
 بن سنان وكذلك كان امية بن ابي الصلت مع عبد الله بن جعدان احد اجواد قريش
 وبلغ الخطيئة من انحطاط الهمة ان الحف في السؤال واكثر من الاستجداء وتوعد كل
 من حرمة رفدة

اما شاعرنا فما هو باول طارق لهذا الباب كما سمعنا وقد وهم من زعم ذلك فان
 مدائح النابغة وسنه متقدمة وقد ظلمه من قال انه مدح الملوک والسوقة فاشهر من سار
 شعرة في مدحهم من غير الملوک المحاق وهم يروون ان اباه كان ذا شرف اتلف ماله .
 وما يكون في غير الكرم اتلافه فان دواعي الاتلاف ومحسنات السرف معدومة
 وقمئذ فلا يذهب مال احدهم في غير جمع الرجال والانفاق عليهم باليمين والشمال
 واطعامهم الاكباد ونبث الدنان وتشيف اذانهم بغناء الغيان ومنهم شريح وهو ابن
 السموال ومنهم علقمة بن علاثة جواد من اجواد العرب فليس بين هؤلاء من كان من
 الوضعاء والسوقة

على ان شعرة في هؤلاء جزاء على يد لهم عنده وشكر على صنيعهم لا طلب لجائزة
وطمع في نوال فلم يمدح المخلوق الا بعد ان البسه بردتية واكرمه بالزق والناقة . وما
كان يقول لعلمته بن علاقة :

علمم يا خير بني عامر * للضيف والصاحب والزائر

والضاحك السن على همسه * والغافر العشرة للعائس

لولا ان حل وثاقه وخلى سبيله واجزل له العطاء ولم يكافئه بهجائه

فمتى كان الشكر على النعمة من باب التكسب بالشعر ومدح غير الامراء مدحاً

للسوقة

نعم رحل الى كثير من الجهات وجاب مختلف الآفاق في سبيل التكسب بالشعر

واكثر التردد على ابواب الملوك والاقبال وجعل شعرة متجراً يتجر به وبهذا

الوصف اشتهر الاعشى من بين الشعراء وكان اكثرهم استجداء فقد قصد بشعرة بلاد

اليمامة مادحا هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي صاحبها

ورحل الى الحيرة فمدح احد ملوكها وهو الاسود بن المنذر اخو النعمان وسار الى

اليمن يمدح مليكه سلامة ذا فائش الحميري وعرج الى نجران يمدح ملوكها بني عبد

المدان واتى ارض الحبش فمدح نجاشيها وانتجع بلاد الاعاجم فطرق باب كسرى

مادحاً فلم يقع شعرة عنده لما ترجم له موقعا حسنا اذ سمعه مرة ينشد :

ارقت وما هذا السهاد المؤرق * وما بي من سقم وما بي معشوق

فقال ما يقول هذا العربي ؟ ففسروا له قوله . فقال : اذن هو افس . وانما صنع معه

ما صنع من الاكرام تاسيا بملوك العرب وعلمنا بقدر ما يقول عندهم فانهم ترون انه

طاف اليمامة والحيرة ويوم اليمن ونجران وغشي الحبش والعجم وتسمعون به يسبحل على

نفسه رحلاته بقوله :

وجبت للشعر عافاقه * عمان وحمص وأورشليم

اتيت النجاشي في ارضه * وارض القبيط وارض العجم

وبقوله :

قد جلت ما بين بانقبا الى عدن * وطال في العجم تردادي وتسياري

ولم يكن من سبقه الى حلبة التكسب كالنابغة وزهير يسير سيرة ويقوم بمثل اسفاره
ويولي مدائح من يختلف اليه من ملوك الاقطار

فلم ينتقل النابغة الى مدح القساسنة الا بعد ان نعم عليه النعمان وما انقطع زهير
عن مدح المربين الذين منهم هرم

ولا عجب ان يكون الاعشى اكتسب هذه الخلقة خلقة أسؤال بالشعر من خاله
المسيب بن علس كما اكتسب منه الشاعرية

فان شعر خاله بالرغم على قلته كان في مدح القعقاع بن شور الدارمي وذي الرقبة
مالك بن سلمة الخير وقد عده المؤرخون في طليعة المتكسبين بشعارهم

على ان غاية الاعشى من اسفاره فيما ارى ليست هي المسألة والتكفف فلا يبعد ان
يكون جاب افاصي البلاد بدافع حب السفر وان يتحدث العرب بانه رحالة الشعراء
الذي قطع الفيافي وسلك المجاهل وان ناقته من خير ما يمتطى

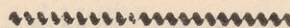
وما مدح به من الشعر كان يقدمه حاجته بين يدي من يقصده من الملوك اذ هو
ليس من ذوي اليسار كما اسلفنا حتى يستطيع القيام بما تقضي به غريته

ولكثر ما رأينا اليوم في الطريق العام من يستوقف المارة ويده رقايع يسأل بها
الاعانة على السياحة بانحاء العالم

وهو السر في اشادة الاعشى بذكر هذا الطواف في كثير من شعره وقد راينا في
جملة من قصائده يذكر اسفاره ويعدد ما دخله من البلاد بطريق ينم عن الافتخار
والاعجاب

وقصارى القول ان الاعشى لم يكن اول من تكسب من الشعراء . ولا هو مداحا
لغير السراة والامراء . واذا اعتبرنا مدحه للمخلق شكرا لا استجداء . وسفره حبا في
الترحل لا ابتغاء في العطاء . اصبح الاعشى رحالة يستسهل الصعاب شكورا يقابل
النعمة بالشعر خارجا عن زمرة المتكسبين

الى هنا . ايها السادة : انتهى بنا القول في حياة وشعر صناجة العرب . وقد كفنا
تحليل معلقته ونقدتها بيان رئيس الادباء وشيخ الادب .



* شهيرات الدور الحفصي (١) *

على دارس رسم الامارات الصناعية اسس بنو حفص - اوائل القرن السابع - مملكة متسعة الاكفاف تمتد اطرافها من الجزائر الى آخر طرابلس الغرب وقد جعلوا حاضرة تونس قلبا لها فاتخذوها قاعدة لادارة شؤون ملكهم وتختا لسلطانهم العظيم . ولم تلبث تونس الا قليلا حتى صارت محط رحال تجار المشرق ومهاجري الاندلس وفيهم الطبيب والفقيه والمهندس والاديب وغير هؤلاء من ارباب الصنائع واصحاب الحرف فتدفق عمران تونس وغزرت حضارتها وراج بها سوق العلم والادب بسبب انتشار التعليم للبنين والبنات على السواء خصوصه وقد انشأت من اول الدولة المعاهد العلمية .

وكان للاميرات الحفصيات الحظ الاوفر والسعي الاكبر في تشييد المدارس وتجهيزها بالاوقاف الطائلة وخزائن الكتب الضخمة وستقص عليك من بناهن اثرا يسيرا فرجة النساء -- يعود الفضل في الحركة التمديدية والنهضة العلمية الظاهرة في هذا الدور لافراد من الاسرة المملوكة الحفصية توفرت فيهم شروط اللياقة لا سيما في مبدأ الدولة - والدولة تزدهر في اوائلها .

نماهيك ما انشاه المستنصر بالله الاول - المتولي سنة ٦٤٧ - من القصور الشاخنة والبساتين الشائقة مثل (ابي فهر) و (راس الطماية) لنزهة حشمه وفرجة حرمة ولقد احسن مؤرخنا الكبير ابن خلدون في وصفه لبعض تلك المصانع حيث قال (٢) : « واتخذ المستنصر بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف (بابي فهر) يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات اغترس فيها من شجرة كل فاكهة من اصناف التين والرمان والتخيل والاعناب وسائر النواكه واصناف الشجر ونضد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من السدر والطلح والشجر البري وسمى

(١) هذا الفصل مقتبس من كتاب « شهيرات التونسيات » الذي القه الاستاذ حسن

حسني عبد الوهاب ولم يبرز بهد

(٢) تاريخ ابن خلدون - طبعة الجزائر ج ١ ص ٤١٢

دوح هذه (بالشعر آء) واتخذ وسطها البساتين والرياضات بالمصانع والحدائق وشجر النور والتدرة من الليم والبنارنج والسرو والريحان وشجر الياسمين والخيري والنيلوفر وامثاله وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة وصنع فيه للماء حائزا من عداد البحور جاب اليه الماء في القناة القديمة التي كانت ما بين عيون زغوان وقرطجنة حتى تنبعث من فوهة عظيمة الى صريح عميق المهوى رصيف البناء متباعد الاقطار مربع القناة مجمل بالكلس فيفوق حوضه وتضطرب امواجه تطرقه (الحفايا) عن السعي بشاطيه لبعده مداه فيمكن في الجواني المنشآت ثبته فيتمارى بهن تباري الفتح ومثلت بطرفي هذا الصريح قبتان متقابلتان كبيرتا وصغرتا على اعمدة المرمر مشيدة بجوانبها بالرخام المنجد ورفعت سقفها من الخشب المقدر بالصنائع المحكمة والاشكال المنمقة الى ما اشتمل عليه هذا الرياض من المقاصير والاواوين والحوائر والقصور غرضا من فوقها غرف تجري من تحتها الانهار .

« ثم وصل المستنصر ما بين قصورة ورياض (راس الطماينة) بحائطين ممتدين بجوزان عرض العشرة اذرع او نحوها طريقا سالكا ما بينهما وعلى ارتفاع عشرة اذرع يحتجب به الحرم في خروجهن الى تلك البساتين حتى لا تقع العيون عليهن فكان ذلك مصنعا فخيميا واثرا على ايام الدولة خالدا . »

المآثر الخالدة

ان ابهى ما تتجمل به امرأة مما يفوق رونقه قلائد العقيان . والجواهر الحسان . عمل صالح يخلد لها ذكرا عاطرا على مدى الايام . وتعاقب العصور . مثل ذلك الاميرة الحفصية ام الخلائف واسمها (عطف) زوج ابي زكرياء الاول والدة المستنصر بالله المتقدم .

فقد مرت الليالي ومضت . وتداولت الدول وانقرضت . ولبيت الثياب الفاخرة واندرست . وعمل هذه الاميرة الكريمة باق شاهدا حيا . ودليلا قويا . على صفاتها وجيلها مقصدها !

ذلك انها انشأت على نفقتها اول معهد علمي مستقل اسس بالحاضرة التونسية واعني به (المدرسة التوفيقية) . اهتمت رحمها الله هذه المدرسة من خالص مالها فاكملت

لوازيمها في حدود سنة ٦٥٠ - ورتبت مصالحها ابتغاء مرضاة الله واحتسايا لوجهه الكريم
وجعلت حذو المدرسة جامعها عرف (بجامع التوفيق) قبالة الشيخ الزليجي بر بوض رياض
السعود (رحبة الغنم الآن) (١)

ولله دوشاعر شبيبتنا صديقي الماحد محمد الشاذلي خزنة دار الذي رصع تاج ذكرى
هذه الاميرة التونسية بقوله :

ان غاب شخصك يا ذات الجلال فما * غابت مآثرك البيضاء اياديها
في تونس ظهرت اولى المدارس عن * يدك تستمطر الرحمى لبانيها
مرت بها الناس اجيالا وذكرك في * اقوامها يتغشى بالدعا فيها
كما يحفظ التاريخ في بطونه اثرا حميدا وتذكارا مجيدا ما صنعته الاميرة (فاطمة)
اخت السلطان ابي بكر بن ابي زكرياء الملقب بالتوكل على الله فانها اسست مدرسة (عنق
الجمال) وما كادت تفتح هذه المدرسة ابوابها - في خلال سنة ٧٤٢ - حتى اقبل عليها
طلاب العلم افواجا من كل فج عميق (٢) رغبة منهم في اقتناء الفنون من منهلها الصافي
ومرردها العذب خصوصا وقد اندبت هذه المؤسسة الفاضلة لادارتها وللتدريس بها
مسندا عالما وشيخا كاملا الا وهو قاضي الجماعة في ذلك العصر (محمد بن عبد السلام)
التونسي (٣) فاغترف الافريقيون من فيض علمه الهامع كالات العرفان . ولم يزالوا
بهذا المعهد منتفعين حتى الآن

وواضع حجرها في اس مدرسة * ابقى على قومة من شاهد الهرم !
ح . ح . عبد الوهاب

(١) ابن خلدون ج ١ ص ٤٥٣ . المؤنس ابن ابي دينار ص ١٢٨ . وتاريخ ابن ابي
الضياف (قلم) .

وجامع التوفيق هو المعروف عندنا اليوم بجامع الهواء

(٢) تاريخ الدولتين للزركشي طبعة تونس ص ٥٨ - والخلاصة النقية ص ٧٢
(٣) هو محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير احد ائمة المالكية الاثلام ومفخر
من مفاخر تونس العظام . ولي قضاء الجماعة بالحاضرة فكان قائما بالحق لا تاخذة في
الله لومة لائم . وتخرج بين يديه جماعة من العلماء الفاضل كبن عرفة رنظائرة . ودون
مؤلفات اصولية جارية . وتوفي سنة ٧٤٩ وكانت دار سكنه في نفس المحل الذي به الان
المدرسة الخلدونية العامرة

احتياطات عامة لحفظ الصحة *

بقلم النطاسي الشهير الدكتور محمود المطري

نظافة الجسد

نظافة البدن واجبة لسببين الاول مقاومة الجراثيم التي تعيش على جلد الانسان والثاني رفع الاوساخ التي تسد عيون العرق . ومعلوم ان عددا كثيرا من الجراثيم تعيش على جلد الانسان وربما تدخل هاته الجراثيم للبدن بواسطة جرح خفيف وتحدث فيه امراضا مختلفة . وتبين بالتجربة ان عدد الجراثيم ينمو بقدر المدة التي يقضيها الانسان بدون اغتسال

ومن المعلوم ايضا ان للجلد عيون يخرج منها العرق الذي يحتوي على اوساخ تشبه الاوساخ التي يدفعها البدن مع البول والبدن يتنفس بواسطة عيون الجلد كما يتنفس بواسطة اجعاب الرئة يعني ياخذ « الاكسيجين » من الهواء ويدفع « الغاز كربونيك » وهو من فواضل البدن المضرة

ولهاته الاسباب يجب الاغتسال مرة في الاسبوع على الاقل

كيفية الاغتسال - لا بأس ان يقع بـ مكان محفوظ من الريح . واستعمال الماء البارد انشط للبدن ولكن لا يطيقه من كان ضعيف البنية والاحسن استعمال الماء المسخن قليلا اي نحو درجة ٣٥ من الحرارة واما الحمام العربي المسخن بالبخر فيجب ان لا تتجاوز الاقامة به اكثر من خمسة عشر دقيقة وهو ممنوع على كبار السن وعلى المصابين بامراض القلب وامراض العروق وامراض الرئة

نظافة الشعر - اذا كان الشعر قصيرا او مخلوقا فيجب غسله كل يوم واذا كان طويلا لا يغسل الا بعد ثلاثة اسابيع ولكن يجب فركه يوميا بماء كولونيا المختلط بالماء العذب وكثيرا ما يظن العوام ان القشرة التي تتكون على رؤوس الصبيان دليل على سلامة صحتهم وذلك من الغلط بل من الواجب ازالتها بالغسل واستعمال المليينات مثل الفازلين اوزيت اللوز لانه تعيش تحتها الجراثيم وانقمل

ونقلت الانظار لخطرین الاول استعمال آلات الحلاق لانها سبب في انتشار كثير من الامراض منها الدمل والفرطسة ومرض الزهري اي مرض السلطان والثاني صبغ الشعر واللحية لانه سبب في امراض متعددة منها الصفرة والدمل وسقوط الشعر واقل مواد الصبغ ضررا الحنة الطبيعية

في البعض من الامراض والحشرات التي تصيب الشعر والجلد واحدها

الفرطسة - جراثيمها تعد من قسم النباتات لانها اذا نظرتها بالمرآت المكبرة تجدها

تشبه اجناس من النباتات المعروفة « بالفقاع Champignons

والفرطسة تصيب الشعر واللحية وهي من الامراض المعدية التي تنتقل من احد الى

آخر وفيها انواع لا فائدة لنا في شرحها ومنها نوع يسمى الفافوس (Favus) توجد

جرثومتها عند الفارور بما يكون القط سببا في انتقالها منه الى الانسان

ولا بد من ابعاد المبتلى بها وطرحه من المدارس اذا كان تلميذا حتى يعافى منها

واحسن طريقة لعلاجها استعمال الشعاع الكهربائي المعروف بريون ايكس (Rayons X)

الجرب - مرض جلدي ناشي عن حشرة صغيرة جدا وانثى هاته الحشرة تحفر

غيرانا في الجلد اوضع بيضها وتموت هناك وهو مرض كثير العدوى ولا يعافي المبتلى به

بغير دواء حتى كان يظنه الاقدمون من الامراض المزمنة والان صارت المعافاة منه ممكنة

في ايام قليلة بشرط التحفظ عن قواعد الدواء

بوفراش - السبب فيه حشرة صغيرة تشبه القمل وهي تسكن منبت الشعر خصوصا

بالنصف الاسفل من بدن الانسان ويمكن التداوي منه في يوم واحد وهو كثير

العدوى ايضا

القمل - منه نوع يعيش في الراس ونوع يوجد على بقية البدن وفي الملابس ويقع

انقطاعه من الراس باستعمال المشط يوميا ودهن الراس بالزيت الججري المسخن Pétrole

او بوضع ادوية اخرى ليس هذا موضوع الكلام عنها . واما انقطاعه من البدن

فبالنظافة وغسل الثياب ومضار القمل كثيرة منها تنقل الجراثيم من واحد الى آخر وتبين

انه السبب الوحيد في انتشار الحمى التيفوسية Typhus التي هي من اعظم الامراض

البرغوث - هو سبب في انتقال جراثيم بعض الامراض وخصوصا في انتشار مرض الطاعون بواسطة الجربوع

البق - قيل انه ينقل جرثومة مرض السل من انسان الى آخر وعليه يجب الحذر منه تقاوم هاته الحشرات بالتنظيف والتقاء اشباب والاثاث الى هواء الشمس وباستعمال زيت النكد وماء الفينيك وماء السوبلهي وتدخين البخارة والفليتوكس وبقي الكلام لما بعد على الناموس والذباب ومشاركتهم في انتشار كثير من الامراض

نظافة الفم والاسنان

تعيش جراثيم عديدة في الفم وهي تتربق فرصة كضعف البدن او شدة البرد لتقوم باعمالها السيئة وتحدث الامراض الفتاكية وعليه لا بد من غسل الفم بعد الاكل ومن حك الاسنان « بشيتة » صلبة صباحا ومساء وهاته احسن طريقة لمنع تخمير ما يفضل من الطعام بين الاسنان ومقاومة الجراثيم والوقاية من مرض السوس بالاسنان واذا بدا السوس في سنة لا بد من معالجتها بلا تاخير والا فيلحق الضرر لجميع الاسنان ولسلامة الفم والحلق وبقية جهاز التنفس يجب التحذر من كثرة التدخين ومن الإقامة بمحل به غبار قائم ومن التنفس من الفم عوض الانف

احتياطات لسلامة العيون

اذ ولد مولود يجب ان يوضع في عينيه قطرة من ماء مالح الفضة - Solution de nitrate d'argent

يمنع على كل واحد مس وحك عينيه خصوصا اذا كان بها مرض والحذر من الذباب الذي يوضع الجراثيم في العين ومن الغبار ومن الدخان ومن قوة شعاع الشمس ومن القراءة في الفراش

الملابس

شروطها - ان لا تعطل مامورية الجلد عرقا وتنفسا

ولا تعطل حركات الانسان

ولا تعطل سير الدم والهضم والتنفس

ولا تكون سببا في انتقال الجراثيم من مكان الى آخر وفي انتشارها

ولا بد من تمريض من كتمان غير مصبوغ يفصل بين الجسد وبقية الملابس

يجب تنظيف الملابس ونفضها يوميا لكن بعيدا عن محل النوم وعن محل الاكل

محل السكنى

يكون كثير الشبايك لا يمكن تبديل الهواء ودخول شعاع الشمس التي هي من

المطهرات القاتلة للجراثيم

تسخين المحل - يمنع استعمال ادوات التسخين ان لم تكن بها جبهة لخروج الدخان

والمواد المضرة كالغاز كربونيك وعاليه يمنع ادخال الكانون للمحل

تنظيف المحل ودفع الاوساخ منه

لا تستعمل طرق تكثير الغبار كالنفخ والكنس الشايح واحسن طريقة المسح

واما الاوساخ فيجب ان لا توضع على الارض في المحل نفسه او قربها بل في اناء

او صندوق مختص بذلك الى ان ياتي المكلف بحملها اي الزبال واذا اصاب احد

بمرض معدى يجب تطهير المحل واحسن طريقة لذلك تكليف اعوان المجلس البلدي

المختصين بهاته الاعمال وان لم يمكن ذلك فيستعمل الفورمول formol والتوتيه

مقدار خمسين غرام في ليتر ماء 5% / sulfatede cuivre والبوطاس - hypochlo

rite والقريزيل

* اعتذارات *

كان من الواجب ان تزدان هـاته النشرة بصورة العلامة الاكبر والاستاذ الشهير شيخ الجماعة بل الكـاتب الفـذ والسياسي القدير فخر تونس المقدس المرحوم الشيخ سالم بوحاجب الذي كان اكبر خطيب في حفلة افتتاح الخلدونية رغم ظلمة تلك الايام ولكن رئيس الخلدونية بذل الجهود المتوالية للاحراز على تلك الصورة حتى يقوم بالواجب المفروض ولكن البخت لم يسعفه ولذا فهو يعتذر امام رجال العلم والتفكير عن هذا التقصير الذي سببه القوة القاهرة

كما يعتذر ايضا عن عدم نشر صورة رئيس الخلدونية الاول صاحب الايادي البيضاء في تأسيسها وان كان تمثاله في قلب كل معترف بالجميل حيث ان تلك الصورة لم نتصل بها ولذا اقتصرنا على ترجمة حياته اطالها الله في سعادة ورغد عيش .

✽ امير الالاي السيد محمد القروي ✽

هو محمد بن محمد بن محمد القيرواني العوفي ولد بتونس في جمادى الاولى عام ١٢٦٣ الموافق ٢٧ افريل سنة ١٨٤٧ واخذ القرآن العظيم عن المؤدب الخير المربي الشيخ محفوظ بكتاب جامع المرحوم يوسف صاحب الطابع ثم لما رآه والدته نعمة الله نفسه مشتاقة الى الفروسية والعلوم الرياضية وفيه استعداد لذلك وكان يومئذ المكتب الحربي يباردو حديث عهد وفيه بغية ابنه النجيب نظمه في سلك تلاميذ ذلك المكتب ويعرف يومئذ بمكتب المهندسين لانه اعدادي لتخريج ضباط اركان الحرب وذلك سنت ١٢٧٣ فوجد حينئذ ضالته المشودة واخذ مبادي العلوم العربية عن العلامة المقدس الشيخ سيدي محمد الشاذلي بن صالح كبير اهل الشورى المالكية وكان اذ ذاك استاذ للعلوم العربية بالمكتب المذكور وتشبع بالعلوم الرياضية من لغات وهيئة وهندسة وكيمياء وطبيعة وفنون حربية وارتقى الرتب العسكرية العزيز منالها في ذلك التاريخ وبارح المكتب برتبة بنباشي اي رئيس الالف وناهيك بها رتبة على صغر سنه لكن اناله اياها كبر علمه وذلك سنة ١٢٨٦ . ١٨٧٠ فاصطفاه الوزير المصلح المرحوم

خير الدين لخاصته معيناً له ولما أسس الكمسيون المالي انتخبه الوزير خير الدين مترجماً بقسم العمل منه ثم سمي كاتباً لجلسات الكمسيون المالي ثم مترجماً للدولة بالوزارة الخارجية واستمر على وظيفته منتظماً سلم الرقي في المراتب الى تاريخ الاحتلال فسمي رئيساً لقسم المترجمين بالكتابة العامة ثم مديراً للمدرسة الصادقية فاجرى بها من النصح ما خلده له التاريخ . ثم سمي رئيساً لقسم خزانة عموم مكاتب الدولة فوجد الاوراق بها يومئذ عبارة عن خليط فاجتهد في تنظيمها وتنويعها حسب اغراضها فكانت مثلاً لغيرها في التنظيم والتنسيق ولما بلغ سن الراحة القانونية متعنته به الدولة مهدياً له عاطر الثناء محلية صدره بالوشاح التونسي والصنف الاكبر من وسامها كما برهنت عن ثقته وصدقه دولة الحماية فقلدته الصنف الثاني من وسام الشرف والصنف الاول العلمي

مكتبة الخلدونية

أسست هاته المكتبة منذ ثلاثين حولاً وكانت في اول امرها لا تحوي الا كتباً دراسية قليلة شان كل امر في مباديه وقد عهد حفظها يومئذ الى امانة الفاضل الماحد التزيه السيد محمد ابن القاضي الذي انتطع الى حفظها بكل امانة وصدق مدة عشرة اعوام ولاول عهده اخذت تسير خطاها الاولى بكل انتظام بهمة بعض كبار رجال ذلك العصر نخص منهم بالذكر العالم المرحوم سيدي علي بن احمد والوطني الكبير المرحوم سيدي البشير صفر وصاحب المعالي سيدي خليل بوحاجب الوزير الاكبر الحالي الذي امدها بهياته الوافرة ومنها مجموعة نفيسة من « جرنال ازياتيك »

هكذا قضت المكتبة عشرة اعوام ثم اسندت امانتها الى عهدة الماحد الحازم السيد الهادي بن عمار الذي انقطع لخدمتها بما اوتي من حزم ونشاط فازهرت في ايامه ولهجت الصحافة المحلية في ذلك التاريخ بالثناء عليه وحث اهل الفضل على التبرع على المكتبة واحسنت الحكومة اليه بوسام العلوم ولما جاءت الحرب الكبرى وقف سيرها كما وقفت سائر المشاريع ولبثت في سبات عميق الى عام ١٩٢٧ حيث استأنفت سيرها حثيثاً حتى بلغ ما بها من المجلدات اليوم نحو من خمسة الاف منها كل نادر ونفيس وفيها بعض المخطوطات النادرة اما عدد المطالعين فقد بلغ الالف في الشهر وقد سهر على حفظها امينها الحالي السيد عمر الحنصقي الذي له في خدمة الخلدونية اباد تشكر فتذكر ذلك خلاصة حديث المكتبة ووددنا لو اعطينا عنها التفاصيل ولكن عاقبتنا عوائق مادية عن ذلك

بنك التعاضد المالي

* التونسي *

بيت اذا نزلت فيه ودائعكم * اودعتموها الحب ارضا ذات اغلال
هذا هو البنك الوطني التونسي الوحيد المؤسس باموال وطنية فهو بيت الامة
وفخرها الاقتصادي الكبير
بنك برهن على رقي التونسي في الميدان الاقتصادي واقتداره على مجاراة الذين سبقوه
في هذا الميدان العتيق
بنك كان شعارة السير الى الامام وقد لقي منه التاجر التونسي اكبر مساعد
وخير نصير ولو في اخرج الازمات
ولذا وجب على كل وطني ان يودع ودائعه فيه حتى يبرهن على حبه لبلاده
ومعاضدته لكل مشروع اشتهر بالامانة والاستقامة
ولا نخال التونسيين وقد راوا نجاحه المطرد وفائدته العائدة عليهم الا مقبلين عاينه
زرافات ووحدا نا هذا وهو يتعاطى سائر اعمال البنوك
هذا هو الحجر الذي بينكم * فابنوا بناء قريش بيتها العالي
ولئن افتخرت مصر ببنك مصر فحق لتونس ان تفتخر ببنك التعاضد ولكل بلد
فخرها الوطني الكبير



❖ محل القناعة ❖

يا ابن الكرام الا تدنو فتبصر ما

قد حدثوك فما راء كمن سمع

اليك ايها القاري الكريم اسدي نصيحة اخ لاخته وهي اذا اردت شراء شيء من حاجاتك لفصل الشتاء او الصيف فعليك بزيارة محلات (القناعة) الكائنة بسوق البلاغجية عدد ٣ وعدد ٥ وعدد ٦ وعدد ٨ بتونس لصاحبها (علي التميمي) تليفون ١٤٠٥ فتجد به المراول والكازاكات والمائينيات والبافيرات والشينان وانصاف الشينان والشاربات والتقارط ويدين المراول والبشاكير والمناشف وكباط الحمام وقشاشب العوم وصونيات والكسالات والكفرتات والصيني والسباتي وسفاسر الجباد والبرانس السوستي وكساوي الاولاد وروبوات البنات والسكوفيات والسحاب والكسبات وكسبات المنشفة والمنادل والكباط الكاوتشو والفياقات وافط اللوح ومراول شمس ومراول فاطمة ونجمة وبلدية وبصطون وغيرها

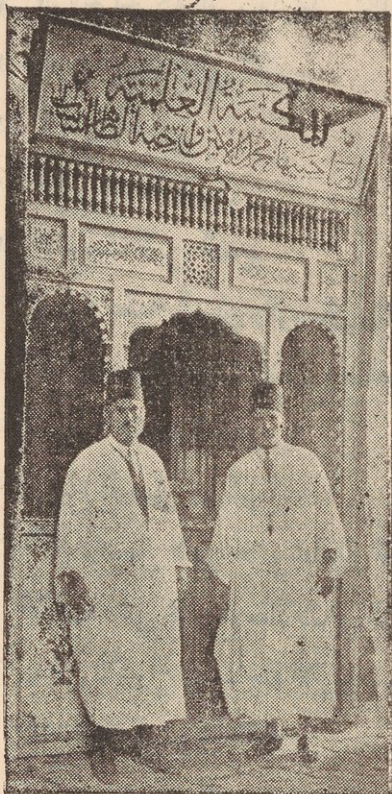
والقبردين والسارج والفلاينية والموبر والقناطيفة والسواري والزافير والصحن والنزوك والالاجة والكشكولات واقمشة المضارب والتوال دافيون والقمرية والكرية والستكرودة والساتينات والساتان والسوستي وقماش المنادل وقماش الموييلية والدوك والقرباط والبولين والكرية

وعنبرقيز الزقار واليحصان والتيممي عرض ٨٠ وعرض ٩٠ والدستور والشمس وكال باشا والمحراث والمعزة وسبعة ديناري ولا ديناري والمبروكية والنجمة والسعد والفيل والياسمين والبرويطة والتاي والمالطي والبفطة والترابي

والهندادي والكلاسط والمحارم السوستي والفلاي العاج والمحارم والبروتيل والشناقل والبتوفليات والكنوليات والقوارص والغبرة والصابون وزيت الراس والفراشات والاصطيك وسباط الاولاد وسباط الكاوتشو والبوشات والسطيك اليدين ونوار الحرج وصنادق كمنولية وكريم سيمون ومعجون اسنان وغبرة اسنان وفلس بورصوات وفلس رقة وفلس عربي والباروق وسطوشات العقيق والسلاسل والحواتم والسبويلطات المعدنية واكورنات وسطوشات السواق وصناديق للصياغة ومن كل نوع من كل ما ذكر اجناس مختلفة واشكال متغايرة وامعار متباعدة مع الثمن الرخيص المحسود المعقول والبشاشة وحسن القبول

المكتبة العلمية بنهج الكتبية نمرة ١٢ - تونس لصاحبها محمد الأمين واخيه الطاهر

فرنكات



- ٣٥ الاعتصام للشاطبي مجلد افرنجي
٩٥ رسائل اخوان الصفاء اربعة مجلدات
١٢ بين الدين والعام
١٢ فلسفة الملابس
١٧ قادة الفكر لطله حسين
٢٥ علم اداب النفس
١٧ كشف الستار عن سر الاسرار
٦٥ الترغيب والترهيب في الحديث مجلد افرنجي
١٠ بشار ابن برد
١٦ معضلات المدنية الحديثة لاسماعيل مظهر
٤٥ تاريخ اللغات السامية
١٠ بقية السالكين وكفاية السائر
٤٥ الاحكام في اصول الاحكام للامدي
مجلد افرنجي
٢٤ الدنيا في امريكا
٧٥ زاد المعاد لابن القيم الجوزية مجلد افرنجي
١٦ التربية الاجتماعية
١٢ مدنية العرب في الجاهلية والاسلام
٢٨ شرح ديوان الحماسة مشكول على ورق عال
١٤ نظرات في اللغة والادب
١٠ قطع مختارة من النظم والنثر مشكول على ورق عال
٢٤ المدخل الى مذهب الامام ابن حنبل مجلد افرنجي
٢٤ كتاب النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية

- ٢٥ الروض الباسم في الذب عن سنة ابي القاسم
- ٧٥ تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم للرافعي مجلدان
- ١٠ شرح ديوان امرئي القيس
- ١٤ الادب العربي
- ١٨ اطلس حافظ ملون
- ٣٥ الفهرست لابن النديم
- ١٤ العظماء عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم
- ٢٥ النقد التحليلي لكتاب الادب الجاهلي
- ٢٦ اصول الحقوق الدستورية
- ٢٨ تاريخ الموصل جز آن
- ٥٥ الملل والنحل لابن حزم مجلدان افرنجي
- ١٢ الادب الحي مجموع مقالات في الادب
- ٢٤ رسائل الارواح في مناجاة الارواح وانتقال الافكار وقراءتها
- ١٤ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء
- ١٤ سيرة عمر بن عبد العزيز
- ١٢ سحر البلاغة في الادب
- ٢٦ المرأة وفلسفة التناسليات بالصور
- ١٦ اسرار الحياة الزوجية
- ٢٧ اناطول فرانس
- ١٠ الانشاء العصري
- ١٠ مفتاح السنة
- ١٢ سفر السعادة
- ١٤ تاريخ الجزائر
- ٣٥ القوانين الفقهية لابن جزلي
- ٣٥ لب الباب لابن راشد القفصي

370.9611:J321A

الجمعية الخلدونية ، تونس.

نشرة الجمعية الخلدونية ١٩٣٠.

370.9611

J321A

1930

OCT 1 '82

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00293737

370.9611

J321A